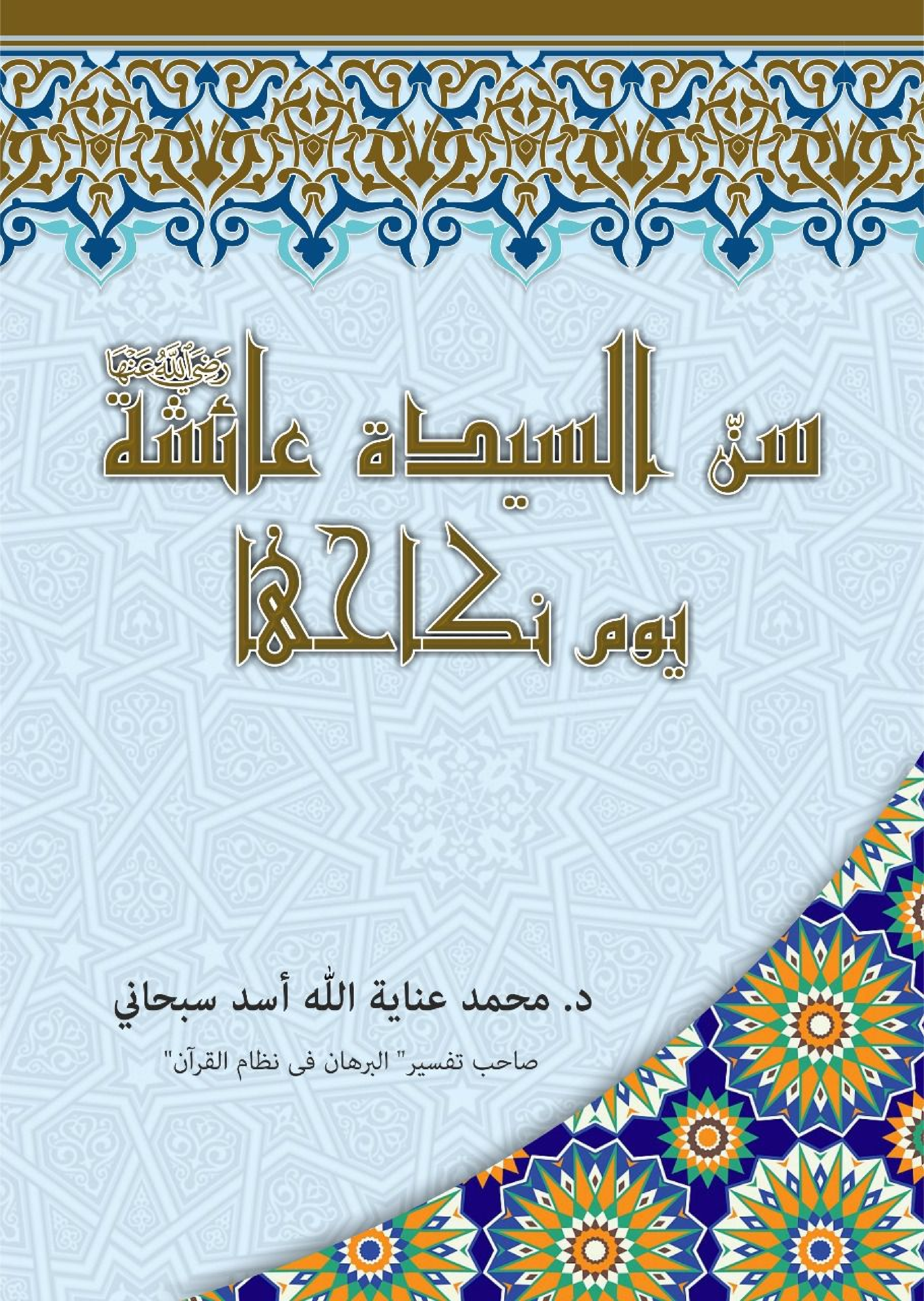

سنّ السيدة عائشة رضي الله عنها
يوم نكاحها
د. محمد عناية الله أسد سبحاني
صاحب تفسير" البرهان فى نظام القرآن"

سنّ السيدة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا

يوم نكاحها

د. محمد عناية الله أسد سبحاني

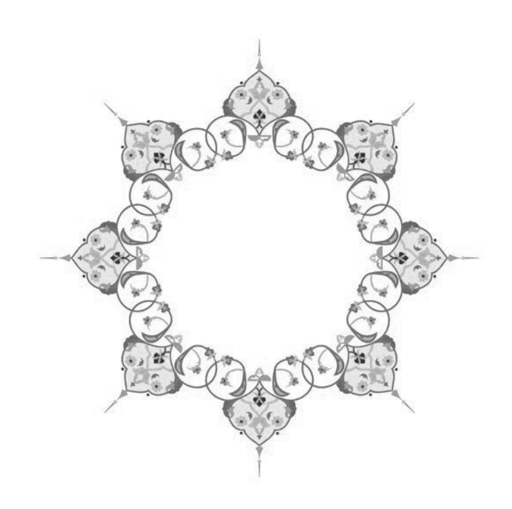
الطبعة الثانية

١٤٤٠هـ/٢٠١٨م

هدايت للنشر والتوزيع، دلهي، الهند

Hidayat Publishers & Distributors
F-155, Hidayat Apartment, 2nd Floor, Near Shaheen Masjid,
Shaheen Bagh, Jamia Nagar, Okhla, New Delhi-110025 (India)
Email: hidayatbooks@gmail.com.
Mobile No. +91 9891051676





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا. والصلاة على رسوله الذي كان داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا.والسلام على نبيّه الذي كانت حياته كلها حياة وضيئة شامخة، لاترى فيها عوجا ولا أمتا. أما بعد:

فقد رأى وعرف تاريخ البشرية رجالا كثيرا ونساء يحلقون في أجواء عريضة عالية من المجد والسؤدد، والفضيلة والكرامة، ولكن سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب كان له شأنه! وكان له شرفه! وكانت له ميزته! وكانت له أجواء لم يحلق فيها غيره!

عقم النساء فلم يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم!

فلم يجد أحد في حياته الوضيئة االمشرقة، وفي سيرته العطرة الشامخة مغمزا! ولن يجد ذلك إلى قيام الساعة، ولو كان ألدّ الخصام، وأعدى الأعداء لرسول الله!

وإن رأيت أو سمعت شيئا من ذلك، فاعلم أن محمدا صلوات الله عليه وسلامه، منه بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب، والأمر لايخلو من تزوير وتغرير، ولايخلو من مكر ومؤامرة! وهو بحاجة ماسّة إلى بحث جادّ ودراسة فاحصة!

ولقد تعلق الأعداء، المستشرقون منهم والمستغربون، بما رُوي في زواج نبينا عليه الصلاة والسلام بالسيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق، وهو أنه عليه السلام تزوجها، وهي بنت ست سنين! وبنى بها، وهي بنت تسع سنين!

لقد تعلق الأعداء بهذه الرواية، وهي ـ على الرغم من ذيوعها وانتشارها، وتسربها إلى الكتب، حتى إلى المراجع المعتمدة عند أهل الحديث -غير ثابتة، وغير محفوظة، وضررها أقرب من نفعها، وطعنوا بهذه الرواية في شخصيته العظيمة العملاقة طعنة نجلاء! وقالوا ما لا يستطيع مسلم أن ينطقه بلسانه أو يخطّه بيمينه!

ولم تكن الرواية بحيث تروى وتُثبت في الصحاح، ولكنها - مع الأسف - رويت ورويت حتى تسرّبت إلى الكتب، واشتهرت في الآفاق، وتُلُقيت بالقبول عند العامة والخاصة، وكأنها قضية مسلّمة لاشية فيها !

والرواية فيها نكارة وفيها شذوذ، وهي أساءت إلى شخصية رسولنا عليه الصلاة والسلام إساءة أيّ إساءة !!

وهي تخالف كثيرا من الحقائق التاريخية، وتخالف كثيرا من الأدلة الشرعية، فكان حقا علينا ـ معشر العلماء الباحثين ـ بحثها ودراستها، وكان حقا علينا كشف عوارها وجلاء غمّتها، وكان حقا علينا أن ندفنها في مهدها قبل أن تنتشر في الآفاق! وقبل أن تستقرّ في القلوب!

ولكننا لم نطّلع بعدُ على جهد علميّ مذكور في هذا المجال!

وإذا جاء الطعن من الأعداء رأينا العافية في اللجوء إلى الصمت!

وإن حاول أحد أن يرفع رأسه، وأراد أن يدافع عن نبيه عليه السلام، دافع عن ضعف ووهن! لأن السلاح الذي هاجمنا به العدوُ أمضى وأقوى من الأتراس التي نتترّس بها!

وإذا تشبثنا بالشواذ والغرائب، ورضينا بموقف الدفاع عن ديننا ورسولنا، فكأننا اعترفنا على أنفسنا بضعف وهزيمة لاتزايلنا أبدا! علما بأنه ليس في ديننا، ولافي سيرة نبينا ما ندافع عنه!

وهل رأيت أحدا يدافع عن الشمس والقمر؟

وحياة نبينا عليه الصلاة والسلام أضوء من الشمس! وأسنى من القمر!

أين نحن من قوله تبارك وتعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ (سورة

المنافقون:٨).

فلننصرف عما لايلائم ديننا، ولا يتناسب مع سيرة نبينا، ولنخرج من حالة الضعف والدفاع والاعتذار إلى حالة العزة والكرامة والاعتزاز بدين الله، والافتخار برسول الله!

ومما يسرّنا ويدخل البهجة في نفوسنا أن العالم الباحث فضيلة الدكتور نياز أحمد، وهو من أبناء باكستان، أدرك خطورة الموقف، وتقدم لينهض بتلك المسؤولية الكبيرة، وكان لها أهلا!

فتبنى هذا الموضوع بجدّية بالغة، وأشبعه بحثا ودراسة في كتابه القيم، الذي أسماه:(كشف الغمة عن عمر أم الأمة) وقام فيه بدراسة فاحصة جادة لكافة الروايات التي تتصل بالموضوع.

درس تلك الروايات كلها دراسة دقيقة متأنية، وأفاض في نقد متونها وأسانيدها، وبين مواضع الضعف فيها، وأثبت بأدلة قوية دامغة أن نكاح السيدة عائشة رضي الله عنها لم يكن فيه أيّ شذوذ، وأيّ غرابة. والنبي عليه الصلاة والسلام ما تزوجها وهي جارية حديثة السنّ! بل تزوجها، وهي امرأة بالغة جزلة ناضجة!

ولو أن الكتاب المذكور كان باللغة العربية، لكان كافيا شافيا في الموضوع، فالكتاب كبير ضخم، يحتوي على ستمائة صفحة بالتقطيع الكبير، ولكنه ليس موردا يرده إخواننا العرب، وينهلون منه ويرتوون، لكونه باللغة الأردية.

ولكن لاداعي للأسف، فهذا الكتاب الذي بين أيديكم جامع شامل، وسيسدّ مع وجازته وصغر حجمه مسدّ ذلك الكتاب النفيس بإذن الله، حيث جمع في ثناياه كل ما يدل من قريب أو من بعيد، على بطلان ما أشيع عن نبينا عليه الصلاة والسلام، من أنه تزوج السيدة عائشة رضي الله عنها وهي جارية صغيرة حديثة السنّ، وكانت تلعب مع أترابها.

والأدلة والقرائن التي يحتويها هذا الكتاب، كلها اقتباس من نصوص الكتاب

والسنة، ومأخوذة من الصحيح المستفيض من وقائع تاريخ الإسلام، وهي واضحة وضوح الشمس، وكافية شافية لمن أراد أن يفهم الأمر، وأراد أن يستوعب الموضوع.

وتلك الأدلة الواضحة والقرائن القوية تغنينا عن أن نجهد أنفسنا في نقد أسانيد تلك الروايات، الروايات التي كانت مزلقة للأقدام، وكانت وقودا للفتنة التي أجّج نيرانها أعداؤ الإسلام ضد الإسلام، وضدّ نبيّ الإسلام!

والرواية إذا كانت تسيء إلى كرامة نبينا عليه الصلاة والسلام، أو كانت تسيء إلى كرامة أصحابه رضي الله عنهم، أوكانت تسيء إلى كرامة أمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ، فهي تفقد قيمتها واعتبارها، وتكون حقيقا بأن يرمى بها عرض الحائط، أوتردّ على من رواها، كائنا من كان راويها! هكذا علمنا ربنا، حيث قال تعالى:

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾

فالروايات التي رويت في نكاح السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لم تكن تستحق منا أيّ اهتمام، ولكن الدكتور نياز أحمد أبى إلا أن يكمل المشوار، ويدرس تلك الأسانيد، فدرسها واحدة واحدة بكل صبر وأناة، وبكل دقة وأمانة، وأجاد في دراسته وأفاد.

وتوصل أخيرا إلى أن تلك الأسانيد بأسرها لاتخلو من علل وأسقام! وعلى هذا، فتلك الروايات كلها واهية متنا وإسناداً، ولا يجوز التمسك بها، ولا التلفظ بما فيها!

جزاه الله عن الإسلام وأهله خيرا على هذا السعي المبرور، والجهد المشكور، والله ولي التوفيق.

محمد عناية الله أسد سبحاني

تاريخنا لم يُكتب بعدُ!

قال باحث إسلامي معروف، وهو الأستاذ محب الدين الخطيب:

«**تاريخ الأمة العربية الإسلامية لم يُكتب بعد!**»(١)

ولعل الذي دفع الباحث إلى هذا التعليق هو أن ما تحت أيدينا من كتب التاريخ يحوي كل رطب ويابس، ويحوي كل غث وسمين، وكم من الحقائق قدغشيها ركام من الأباطيل، وغشيها ركام من الأكاذيب، فهي ذبلت واضمحلت، أوخفتت ونُسيت!

هذا تعليق على كتب التاريخ، وهناك تعليق آخر شبيه بهذا التعليق، وهو تعليق الأستاذ عليّ الطنطاوي، حيث قال:

«وكتب التاريخ هذه هي المواد الأولية للتاريخ، وليست هي التاريخ؛ لأن تاريخنا لم يُكتب، ولابد من تنقيتها أولا، ثم ترتيبها، ثم إدخالها المصنع لتصير حينئذ تاريخا، وإنها على ما هي عليه مخلوط فيها السم بالدسم والقطن بالبرسيم».(٢)

هذا تعليق، وذاك تعليق على ماكُتب وأُلّف في تاريخ الإسلام وتاريخ أمة الإسلام.وليس بينهما فرق إلا في الإجمال والتفصيل.

وقد سبقهما الأستاذ الإمام سيد قطب بمثل هذا التعليق، حيث قال:

«هذا التاريخ موجود اليوم في صورتين: صورته في المصادر العربية القديمة، وهذه من التجوز الشديد أن تسمى تاريخاً، بل هي لا يمكن أن تحمل هذا الاسم، فهي نثار من الحوادث والوقائع والحكايات والأحاديث والنتف والملح والخرافات

(١) د. عبد الله الطنطاوي حول التاريخ.

(٢) من مقدمة كتاب" قصص من التاريخ" للأستاذ علي الطنطاوي: ص ١٦.



والأساطير والروايات المتضاربة، والأقوال المتعارضة على كل حال. وإن كانت، بعد ذلك كله، غنية، كمصدر تاريخي، بالمواد الخامة التي تسعف من يريد الدراسة، ويوهب الصبر، ويحاول الغربلة... بالمواد الأولية اللازمة له في بناء هيكل التاريخ.

وصورته في المصادر الأوربية، وبخاصة في أعمال المستشرقين، وهي صورة مرفوضة حتماً لأسباب بيَّناها فيما مضى».[١]

وقد يُرضينا هذا التعليق، وقدلايُرضينا، وربما يجعل بعض الناس يثورون ويفورون، ولكن الواقع واقع، وهو لايتغير، سواء رضينا أم كرهنا، وسواء قبلنا أم أبينا، فكم من مباحث أساسيّة في تاريخنا لم تحُرّر بعدُ، وهي مازالت تنتظر من يتناولها بجدّ، ويميط عنها ما علق بها مما ليس منها.

ومن تلك المباحث المهمة مبحث قديم مازال موضع نقاش وجدال بين الناس، ألا وهو مبحث سنّ أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها في وقت نكاحها وزفافها إلى رسول الله!

سن أم المؤمنين في حين نكاحها؟

فهل كانت أم المؤمنين رضي الله عنها بالغة ناضجة مكتملة الشباب في وقت نكاحها وزفافها، أم كانت جارية صغيرة حديثة السن؟

ومتى تمّ هذا النكاح؟ هل تم في مكة المكرمة بعد وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها في وقت قريب، كما يفهم من بعض الروايات، أم تمّ بعد وفاتها بسنتين، أوثلاث سنين كما ورد في بعض الروايات الأخر؟ فقد ذكر ابن كثير، قال:

(١) د. عبد الله الطنطاوي حول التاريخ.



«قال يونس بن بكير، عن هشام بن عروة، عن أبيه. قال: تزوج رسول الله ﷺ عائشة بعد خديجة بثلاث سنين، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين، وبنى بها وهي ابنة تسع، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة ابنة ثماني عشرة سنة. وهذا غريب.

وقد روى البخاري عن عبيد بن إسماعيل، عن أبي أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ بثلاث سنين، فلبث سنتين أو قريبا من ذلك، ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين». [١]

وهل تم هذا النكاح والزفاف معاً في مكة المكرمة؟ أم تم بعضه، وهو العقد، في مكة المكرمة، وتمّ بعضه الآخر، وهو الزفاف، في المدينة المنورة؟

المشهور المذكور في الأنام

والمشهور المذكور عند الخاصة والعامة، وعند المسلمين وغير المسلمين أنه عقد النكاح على أم المؤمنين رضي الله عنها في مكة المكرمة بعد ثلاث سنين من وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها في وقت نكاحها بنت ستّ سنين، وزفت إلى زوجها الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة، وهي بنت تسع سنين، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه، قال:

حدثني فروة بن أبي المغراء، حدثنا علي بن مسهر عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن خزرج فوعكت فتمرق شعري فوفى جميمة فأتتني أمي أم رومان، وإني لفي أرجوحة، ومعي صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي!

فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي،

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير: ٢/ ١٤٠-دارالمعرفة للطباعة والنشر- بيروت.



ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن على الخير والبركة! وعلى خير طائر!

فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى، فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين.[١]

تلك رواية الإمام البخاري في نكاح أم المؤمنين رضي الله عنها، ولم يتفرد بها البخاري، بل وردت مثل هذه الرواية في عدد من الجوامع والسنن، ووردت في عدد من كتب السيرة والتاريخ، فالناس استسلموا لهذه الروايات ورضوا بها، على ما فيها من غرابة وشذوذ، فالرواية رواية الشيخين، ورواية أئمة الحديث الآخرين، ورواية أئمة السيرة والتاريخ، فمن أين لنا أن نشك في صحتها!

والأمر أمر رسول الله، وليس لمسلم ولامسلمة إذا قضى الله ورسوله أمرا، أن يجدوا في أنفسهم حرجا منه، بل من واجبهم أن يسلّموا تسليماً.

قالوا ما تخرّ له الجبال هدّا!

هكذا كان الأمر، فالناس تلقفوا هذه الرواية، وتناقلوها، وذكروها في محافلهم ومجامعهم، وسجلوها في كتبهم ومؤلفاتهم، مطمئنين إلى صحتها، غافلين عن أبعادها وآثارها، حتى سارت الفكرة وسارت، وانتشرت في الآفاق، ووصلت إلى كل من العدو والصديق.

والصديق إن خضع لهذه الفكرة بدافع الحب والإيمان، وحنى لها رأسه، وفتح لها قلبه، فالعدو كان لهم موقف آخر، حيث فعلوا ما يفعله العدوّ، فسخروا من رسولنا عليه الصلاة والسلام وشتموه، وطعنوا في شخصيته الطاهرة الشامخة، وقالوا عنه ما

(١) صحيح البخاري- باب تزويج النبي عائشة وقدومها المدينة وبناؤه بها.



قالوا، ولقد قالوا مالايستطيع البنان أن يسطره! وقالوا ما تخر له الجبال هدّا!

فالأمر كان جدّا، وكان بحاجة إلى جدّ في البحث والتفكير، وكان بحاجة إلى أن يضربوا وجهه وعينه حتى يخبروا خبره، ولايقعوا فيما لاينبغي أن يقعوا فيه!

روايات تنقض الكلام المشهور

وإذا كان في الروايات ما يفيد أن أم المؤمنين رضي الله عنها عُقد عليها النكاح، وهي بنت ست سنين، وزفّت إلى رسول الله وهي بنت تسع سنين، أي كانت جارية صغيرة حديثة السن، فهناك من الروايات ماينقض ذلك، ويفيد أن أم المؤمنين كان لاينقصها شيء في حين نكاحها في مكة المكرمة، حيث كانت فتاة عاقلة بالغة ناضجة كاملة، وكانت قادرة على أن تكون ربة البيت، وراعية البيت، وكانت قادرة على أن تشاطر رسول الله عليه الصلاة والسلام همومه وأحزانه، كما فعلت فيما بعد.

حديث السيدة خولة مع رسول الله

فقد روى الإمام أحمد في مسند عائشة أم المؤمنين: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا بشر، حدثنا محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة ويحيي. قالا: قالت عائشة: لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون، فقالت: يا رسول الله ألا تزوج؟

قال: من؟ قالت: إن شئت بكرا، وإن شئت ثيبا، قال: فمن البكر؟

قالت: أحب خلق الله إليك، عائشة بنة أبي بكر.

قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك.

قال: فاذهبي، فاذكريهما عليّ.

فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، قالت: انظري أبا بكر حتى يأتي. فجاء أبو بكر فقلت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة! قال وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قال: وهل تصلح له إنما هي ابنة أخيه، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال: «ارجعي إليه فقولي له: أنا أخوك وأنت أخي في الاسلام، وابنتك تصلح لي».

فرجعت فذكرت ذلك له، قال: انتظري. وخرج.

قالت أم رومان: إن مطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه، ووالله ما وعد أبو بكر وعدا قط فأخلفه، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الصبي.

فقالت: يا ابن أبي قحافة! لعلك مصبئ صاحبنا، تدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك؟

فقال أبو بكر للمطعم بن عدي: أقَولَ هذه تقول؟ قال: إنها تقول ذلك.

فخرج من عنده، وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عدته التي وعده.

فرجع فقال لخولة: ادعي لي رسول الله ﷺ.

فدعته، فزوجها إياه، وعائشة يومئذ بنت ست سنين.

نكاح السيدة سودة مع رسول الله

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ما أدخل الله عليك من الخير والبركة!

قالت وما ذاك؟ قالت أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه!

قالت: وددت ادخلي إلى أبي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا قد أدركته السن، قد تخلف عن الحج ـ فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية، فقال من هذه؟ قالت خولة بنت حكيم.

قال فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبد الله، أخطب عليه سودة.

فقال كفؤ كريم، ماذا تقول صاحبتك؟ قالت تحب ذلك.

قال: ادعيها إلي، فدعتها، قال: أي بنية! إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك، وهو كفؤ كريم، أتحبين أن أزوجك به؟ قالت نعم.

قال: ادعيه لي، فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه.[1]

ما ذُكرت عائشة إلا لتَخْلُفَها في حينها

تفيد تلك الرواية أن أم المؤمنين السيدة عائشة كانت فتاة بالغة ناضجة مكتملة الشباب في حين وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة، فإن السيدة خولة بنت حكيم ماذكرتها للنبي ﷺ، حينما ذكرتها، حتى يتزوجها بعد سنين، وإنما ذكرتها ليتزوجها في حينه، حتى تخلف أم المؤمنين السيدة خديجة لساعتها، وتملأ الفراغ الذي حدث في حياة رسول الله بسبب وفاتها.

ويدل عليه حديث السيدة خولة مع النبي ﷺ، فقد روى ابن سعد، قال:

أخبرنا محمد بن عبيد الطنافسي، حدثني محمد بن عمرو، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قالا: جاءت خولة بنت حكيم بن الأوقص السلمية امرأة عثمان بن مظعون إلى رسول الله ﷺ فقالت:

---

(١) مسند أحمد- مسند الصديقة عائشة: ٤٢/ ٥٠٢.



يا رسول الله! كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة!

فقال: أجل. كانت أم العيال وربة البيت. قالت: أفلا أخطب عليك؟ قال: بلى، فإنكن معشر النساء أرفق بذلك.

فخطبت عليه سودة بنت زمعة من بني عامر بن لؤي، وخطبت عليه عائشة بنت أبي بكر، فتزوجهما فبنى بسودة بمكة، وعائشة يومئذ بنت ست سنين حتى بنى بها بعد ذلك حين قدم المدينة.[1]

فالسيدة خولة رضي الله عنها فاتحت النبي عليه الصلاة والسلام بذكر الخلة التي دخلته لفقد أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها، والنبي ﷺ صدّقها فيما لمست وشعرت.

ثم ذكرت خولة للنبي ﷺ صنفين من النساء: ذكرت له البكر وذكرت له الثيب، ذكرت له السيدة عائشة، وذكرت له السيدة سودة، وذكرت السيدة عائشة قبل أن تذكر السيدة سودة، كما مرّ معنا في رواية الإمام أحمد.

كانتا تِربين متقاربتين

وكلتاهما كانتا تِربين متقاربتين، ولم يكن بينهما أيّ فارق في السنّ، وإن كان المشهور غير ذلك، وكانتا صالحتين للزواج، وكانتا قادرتين على تحمّل تبعات الزواج، حينما ذُكرتا للزواج.

وماذكرتهما السيدة خولة بنت حكيم إلا ليختار النبي ﷺ من شاء منهما، ولم يكن في حسبانها أنه سيقع الاختيار على الاثنتين، فإنه عليه السلام لم تكن عنده إلا واحدة،

(١) الطبقات الكبرى- ٨/ ٥٧.



ألا وهي السيدة خديجة، وكان في بال السيدة خولة أن أيّ واحدة منهما ستخلُفها، وتسدّ خلتها، وتشغل مكانها.

ولكن كان من قدر الله أنه وقع الاختيار على الاثنتين، وعقد عليهما النكاح، الواحدة بعد الأخرى، عقد النكاح على السيدة عائشة أولا، ثم عقد على السيدة سودة ثانيا، كما هو واضح فيما رواه الإمام أحمد.

قال ابن كثير، وكان مصيبا فيما قال:

«هذه السياقات كلها دالة على أن العقد على عائشة كان متقدما على العقد بسودة، وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل».[١]

و مما هو غنيّ عن البيان أن هذين العقدين لم يتمّا في يوم واحد، وأن السيدة سودة دخلت في حياة رسول الله متأخرة، وبعد فترة لانملك تحديدها.

السيدة عائشة هي البلسم الأول

والسيدة عائشة هي التي سبقتها إلى ملإ ذلك الفراغ الذي حدث في حياة رسول الله بوفاة السيدة خديجة أم المؤمنين، فهي التي شاطرته أحزانه، وسكبت في قلبه المحزون برد العزاء والسلوى. وهي التي كانت البلسم الشافي لقروح الوفاة والفراق.

و مما يدل على ذلك ما رواه ابن سعد، قال:

أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا حماد بن سلمة، عن حميد الطويل، عن عبد الله بن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: وجد رسول الله ﷺ على خديجة حتى خشي عليه حتى



(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير- فصل في تزويجه ﷺ بعد: ٣/ ١٣٣.

تزوج عائشة.[١]

دليل من صحيح البخاري

ومما نستأنس به في هذا الموضوع مارواه الإمام البخاري في صحيحه، قال:

حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرني يوسف بن ماهك قال إني عند عائشة أم المؤمنين قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية ألعب:

﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾[٢].

وَهَمٌ في الرواية

قد يستغرب القارئ الكريم كلامنا، فإن هذه الرواية بظاهرها تنقض رأينا، ولكننا إذا أنعمنا فيها النظر، وتأملنا في خلفيتها، وجدناها تدعم رأينا، وتقوّي موقفنا.

بيانه أن تلك الرواية وَهِمَ فيها الراوي، وهو يوسف بن ماهك الفارسي، وهو مولي قريش، ولم يكن له سماع من أم المؤمنين عائشة، وإنما أمه مسيكة المكية هي التي كانت تدخل أحيانا على أم المؤمنين، وتسمع منها، وكان يروي عنها ابنها يوسف بن ماهك.

والظاهر أن أم المؤمنين قالت: (لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة، وأنا عنده: بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ) فلم تستوعب كلامها مسيكة المكية، وجاءت الرواية على ما هي عليه الآن! وإلّا فما معنى قولها: أنزلت هذه الآية على محمد، وأنا

(١) الطبقات الكبرى:٨/ ٥٩.

(٢) صحيح البخاري–باب قوله:سيهزم الجمع ويولون الدبر.



جارية ألعب؟

إن كانت أم المؤمنين جارية تلعب في أيام نزول الوحي في مكة، ونزلت على محمد تلك الآية وهي جارية تلعب، فهناك مآت من الآيات، أو آلاف منها قدنزلت بمكة، وهي جارية تلعب! فما خصوصية هذه الآية بالذات، حتى تذكرها أم المؤمنين بصفة خاصة؟

إنما خصوصية هذه الآية أنها نزلت على النبي عليه السلام، وهي معه، وعنده في مكة بعد وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة. والسورة التي وردت فيها هذه الآية، هي سورة القمر، وهي من المنذرات الكبر، وهي توحي بأسلوبها وجرسها أنها من أواخر ما نزل على رسولنا عليه السلام في مكة، إنذارا لأهل مكة.

لأمرٍ ما كان التنويه بسنّها في غير محلّه!

قديقال: كيف يصح القول بأن السيدة عائشة هي التي دخلت في حياة النبي ﷺ قبل السيدة سودة، مع أن رواية الإمام أحمد، التي تذكر قصة خِطبة السيدتين، هي التي تذكر أن السيدة عائشة كانت يومئذ بنت ست سنين؟ وليست تلك الرواية فقط، بل معظم الروايات، التي وردت في قصة الخطبة والزواج، تذكر هذا الأمر.

نقول: كثر وتكرر في الروايات ذكر سنّ أم المؤمنين السيدة عائشة، حتى جعلت تحوم حوله الشبهات! فقلما نجد رواية تتصل بأم المؤمنين إلا وهي تذكر حداثة سنّها، وكثيرا ما نجد هذا الذكر في مكان لايتطلب ذلك، بل نجده في مكان يأبى ذلك! من ذلك ماروواه الإمام البخاري في صحيحه، قال:

بيانات لاداعي لها!

حدثني عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة عن هشام، عن أبيه، قال توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين، أو قريبا من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ثم بنى بها، وهي بنت تسع سنين.[١]

فتلك الرواية تذكر وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة، ولاتذكر سنّها في وقت وفاتها، وكان المقام يقتضي ذلك، كان يقتضي المقام أن تذكر سنّها في وقت وفاتها.

وتذكر الرواية نكاح أم المؤمنين السيدة عائشة بعد وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة، ولا تكتفي بذكر نكاحها، بل تزيد عليه أن سنّها في وقت النكاح كان كذا، وفي وقت البناء بها كان كذا! ولم يكن هناك أيّ داع لتلك البيانات التي لاشأن لنا بها، فإن الأبناء لايحبون أبدا أن يعرفوا سنّ أمهم في وقت البناء بها! ولايحبون أن يعرفوا متى بنى أبوهم بأمهم!

وإن جاءت هذه البيانات في شأن أم المؤمنين السيدة عائشة، فلماذا لم تذكر في شأن سائر أمهات المؤمنين؟ ولماذا لم تذكر في شأن نساء المؤمنين؟

ولمن ذُكرت تلك البيانات ياترى؟ هل ذُكرت للذين يحبون رسول الله، ويحبون السيدة أم المؤمنين، أم ذكرت لمن يحملون الحقد عليهما، ويسخرون منهما؟

ومن يكون وراء تلك البيانات؟ البيانات التي لالزوم لها، والتي تهيئ الفرصة للحاقدين، حتى يشفوا صدورهم بالطعن في شخصية رسول الله!

---

(١) صحيح البخاري-كتاب بدءالوحي.



زواج عائشة بجبير بن مطعم

ومما يدل على أن الأمر فيه دخَل ودغَل ما رواه الإمام الطبراني، قال:

حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا عبد الله بن عمر بن أبان، ثنا أبو أسامة، عن الأجلح، عن ابن أبي مليكة، قال: خطب النبي ﷺ عائشة إلى أبي بكر، وكان أبو بكر قد زوجها جبير بن مطعم، فخلعها منه، فزوجها رسول الله ﷺ وهي ابنة ست سنين، تركها ثلاث سنين، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين.[١]

فتلك الرواية تفيد أن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قد زُوّجت جبير بن مطعم قبل أن تُزوَّج نبينا عليه الصلاة والسلام، فإن كانت زُوّجت النبي ﷺ، وهي بنت ستّ سنين، فمتى زُوجت جبير بن مطعم؟

لماذا تذكر الروايات سنّ أم المؤمنين حينما زُوجت رسول الله، ولاتذكر سنّها يوم زُوّجت جبير بن مطعم؟ وإن كان سنّها ست سنين يوم زوجت رسول الله، فلا جرم أنها كانت بنت أربع سنين أو خمس سنين يوم زوّجت جبير بن مطعم!

ثم لابد أن يقف المرء هنا وقفة، ويسأل: ماذا دها أباها حتى زوّجها في صباها الباكر، ولماذا أراد أن يتخلص من مسؤوليتها قبل أن يصلب عودها، ويشتد ساعدها، وقبل أن يوفّيها حقها من الرعاية والعناية، وقبل أن يسقيها ويُرويها من كأس الحب والحنان؟

متى كان نكاح السيدة أسماء؟

وكانت لأم المؤمنين أخت شقيقة، هي السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، فهل زوّجها أبوها في صباها الباكر، مثل مازوّج أم المؤمنين السيدة عائشة في صباها

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٢٣/ ١٢٢٦.



الباكر، كما زعموا؟

تفيد الروايات أن السيدة أسماء كانت بنت سبع وعشرين سنة حينما هاجر أبوها سيدنا أبوبكر مع رسول الله إلى المدينة المنورة، فقد توفيت السيدة أسماء بمكة في جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين بعد مقتل ابنها الخليفة الراشد عَبد الله بن الزبير بيسير، لم تلبث بعد إنزاله من الخشبة ودفنه إلاّ ليالي، وكانت قد ذهب بصرها.

واختلف في مكثها بعد ابنها عَبد الله، فقيل: عاشت بعده عشرة أيام، وقيل: عشرين يوما، وقيل: بضعة وعشرين يوما، حتى أتى جواب عَبد المَلِك، فأنزل ابنها عبد الله من الخشبة، وماتت وقد بلغت مئة سنة.

وَقَال هشام بن عروة، عَن أبيه: كانت أسماء قد بلغت مئة سنة لم يسقط لها سن، ولم ينكر لها عقل.[(١)]

وقال ابن حجر: أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين زوج الزبير بن العوام من كبار الصحابة عاشت مائة سنة، وماتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين.[(٢)]

فإن صح أنها توفيت سنة ثلاث وسبعين من الهجرة، وقد بلغت مائة سنة، ثبت من غيرشكّ أنها كانت ابنة سبع وعشرين سنة حينما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة.

كانت حاملا مُتِمّا وقت الهجرة

ومما اتفق عليه رواة السيرة أنها هاجرت من مكة إلى المدينة المنورة، وكانت حاملا متمّا.

(١) انظر: تهذيب الكمال:٣٥/ ١٢٥.

(٢) ابن حجر–تقريب التهذيب:١/ ٧٤٣.



قال ابن كثير: حدثنا قتيبة عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت:

أول مولود ولد في الاسلام عبد الله بن الزبير، أتوا به النبي ﷺ فأخذ النبي ﷺ تمرة فلاكها ثم أدخلها في فيه، فأول ما دخل بطنه ريق النبي ﷺ. فهذا حجة على الواقدي وغيره، لانه ذكر أن النبي ﷺ بعث مع عبد الله بن أريقط لما رجع إلى مكة، زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعيال أبي بكر، فقدموا بهم إثر هجرة النبي ﷺ، وأسماء حامل متمّ أي: مقرب قد دنا وضعها لولدها.

فلما ولدته كبر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحا بمولده؛ لانه كان قد بلغهم عن اليهود: أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد، فأكذب الله اليهود فيما زعموا.[١]

وقال: أسلمت أسماء قديما وهم بمكة، في أول الاسلام، وهاجرت هي وزوجها الزبير وهي حامل متم بولدها عبد الله، فوضعته بقبا أول مقدمهم المدينة.[٢]

تلك حقائق معلومة ومشهورة في كتب التاريخ، ولانُبعد إذا قلنا، بناء على تلك الحقائق:

إن أسماء ما زوجت إلا قريبا من الهجرة إلى المدينة، ويمكن تحديد هذا الزمن ببضعة أشهر قبل الهجرة، أو مايقاربها ويدانيها، وبالتالي هي زوّجت، وكانت في وقت زواجها بين ستّ وعشرين وسبع وعشرين سنة.

فهل يُعقل أن يؤجّل سيدنا أبوبكر رضي الله عنه زواج إحدى ابنتيه إلى ست وعشرين سنة، أوسبع وعشرين سنة، ويعجّل نكاح الأخرى، فيُنكِحها وهي لم تبلغ النكاح، بل هي صبيّة أو جارية حديثة السنّ، تلعب مع أترابها وزميلاتها ؟!

---

(١) البداية والنهاية- فصل في ميلاد عبدالله بن الزبير:٣/ ٢٣٠.

(٢) نفس المصدر:٨/ ٣٤٦.



ماذا يقال عن جبير بن مطعم؟

قد يقال للتخلص من هذه المشكلة: إن رسول الله عليه الصلاة والسلام خطب السيدة عائشة، فما كان لسيدنا أبي بكر إلا أن يستجيب له، وينكحها النبي ﷺ، حتى ولوكانت صبيّة صغيرة أوجارية حديثة السنّ!

ولكن ماذا يقال عن جبير بن مطعم؟ فإن أم المؤمنين السيدة عائشة زُوجت أولاً جبير بن مطعم، حسبما تذكره المصادر التاريخية، فلما خطبها النبي ﷺ استسلّها منهم أبوها سيدنا أبوبكر، وطلقها جبير، وبعد ذلك استطاع سيدنا أبوبكر أن ينكحها النبي ﷺ.فقدروى ابن سعد، قال:

أخبرنا عبد الله بن نمير، عن الأجلح، عن عبد الله بن أبي مليكة قال: خطب رسول الله ﷺ عائشة إلى أبي بكر الصديق فقال: يا رسول الله إني كنت أعطيتها مطعما لابنه جبير، فدعني حتى أسلّها منهم. فاستسلّها منهم فطلقها، فتزوجها رسول الله ﷺ.[١]

فما عذر سيدنا أبي بكر في أمر جبير بن مطعم إن كان قد أنكحه إياها، وهي طفلة صغيرة، مع أن مثل هذا النكاح لم يكن من مألوفات العرب، ولم نجد لمثل هذا النكاح، ولوشاهدا واحدا، في ذلك المجتمع العربي القديم!

سنّ جبير في وقت النكاح

والجدير بالذكر أن جبير بن مطعم لم يكن صغير السن حين تزوج السيدة عائشة، حتى يقال: كلاهما كانا صغيرين، وإنما كانت بينهما خطبة دون زفاف ونكاح! ولوبقيت هذه الخطبة، لكان زفافها إلى جبير بن مطعم بعد سنين، بعد ما يبلغان سنّ النكاح،

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٥٨.



المعهودة في ذلك المجتمع!

لايقال ذلك؛ فإن القرائن كلها تدل على أن جبير بن مطعم لم يكن وقت الزواج صغير السنّ، بل كان بالغا مبلغ الرجال، ولم تكن هناك مجرد خطبة، بل كان زواج، ثم خُلْع أو طلاق.

ومما يدل على أن جبير بن مطعم كان جزلاً فتيّ السن في وقت النكاح أنه كان من الذين حضروا غزوة بدر، كما أن السيدة عائشة شهدت غزوة بدر، وسيأتي تفصيله في مكانه.

ثم جبير بن مطعم هو الذي جاء بعد الغزوة إلى المدينة ليكلم النبي ﷺ في أسارى بدر، قال الحلبي:

«وجاء جبير بن مطعم وهو كافر، أي: إلى المدينة يسأل النبي ﷺ في أسارى بدر، فقال له ﷺ: لو كان شيخك أو الشيخ أبوك حيا، فأتانا فيهم لشفعناه.

وفي رواية: لو كان مطعم حيا وكلمني في هؤلاء النفر وفي رواية: في هؤلاء النتنى لتركتهم له. لأن المطعم كان أجار النبي ﷺ لما قدم من الطائف وكان ممن سعى في نقض الصحيفة، كما تقدم ذلك».[1]

وابن حجر أيضا ذكر مثل ما ذكر الحلبي، قال:

جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي وأمه أم حبيب بنت سعيد وقيل أم جميل بنت سعيد بن عبد الله بن أبي قيس من بني عامر بن لؤي كان من أكابر علماء النسب، وقدم على النبي ﷺ في فداء أسارى بدر، فسمعه يقرأ «الطور» قال: فكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي، روى ذلك البخاري في الصحيح، وقال له

(١) علي بن برهان الدين الحلبي-السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون: ٢/ ٤٥١-دارالمعرفة-بيروت.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لو كان أبوك حيا وكلمني فيهم لوهبتهم له.[1]

والكلام في أسارى بدر لم يكن أمرا هينا، بل كان موقفا دقيقاً، ولاتُسند مثل تلك الأمور إلى غلمان حُدثان، وإنما تُسند إلى أناس ناضجين محنّكين.

كالمستجير من الرمضاء بالنار!

ثم إن قلنا إن سيدنا أبابكر لم يكن له إلا أن يستجيب لرسول الله حينما خطب السيدة عائشة، فهذا الجواب يجعلنا كالمستجير من الرمضاء بالنار!

فإننا إن خرجنا من مأزق سنقع في مأزق آخر أضيق منه، فإن السؤال كان موجّها أولاً إلى سيدنا أبي بكر، والآن يتوجه إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام!

فإن السيدة سودة كانت متاحة له، ولم يكن هناك نقص في النساء في مكة، إن كان الأمر يقتضي أكثر من واحدة، فما الذي دعاه عليه السلام إلى أن يخطب السيدة عائشة، وهو على علم بصغرها وحداثة سنها؟

وخطبة الصغيرة لم تكن من معروفاتهم، فلماذا أراد عليه الصلاة والسلام أن ينقض هذا العرف، وهو عرف حسن موافق لسنن الفطرة؟

عود إلى حديث السيدة خولة

نعود إلى حديث السيدة خولة بنت حكيم، ونقول: إن السيدة خولة ذكرت للنبي ﷺ بكرا، وذكرت ثيبا، وقصدت بالبكر السيدة عائشة، وقصدت بالثيب السيدة سودة،

(١) ابن حجر- الإصابة في تمييز الصحابة: ١/ ٤٦٢- تحقيق: علي محمد البجاوي-دار الجيل- بيروت.

فمما ورد في رواية الإمام أحمد، التي ذكرناها آنفا:

«قالت عائشة: لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت:

يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكرا، وإن شئت ثيبا.

قال: فمن البكر؟ قالت أحب خلق الله إليك عائشة بنة أبي بكر.

قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة».

البِكرُ في لسان العرب

فما هو البكر في لسان العرب؟ وهل تسمى الجارية الصغيرة التي ما أقرأت، وما حرمت عليها الصلاة، بكرا؟ وهل يصح أن تسمى السيدة عائشة بكرا، وهي بنت ست سنوات؟

قال الجوهري، وهو يفسر لفظ البكر:

البِكْرُ: العذراءُ؛ والجمع أَبْكارٌ، والمصدر البَكارَةُ بالفتح. والبِكْرُ: المرأةُ التي ولدتْ بطناً واحداً. وبِكْرُها: ولدُها. والذكَر والأنثى فيه سواء. وكذلك البكْرُ من الإبل.[1]

وقال الفيروزابادي:

والبِكْرُ بالكسر: العَذْراءُ: أَبْكارٌ والمصْدَرُ: البَكارَةُ بالفتح، والمرأةُ والناقةُ إذا ولَدَتَا بَطْناًواحداً، وأولُ كُلِّ شيءٍ وكُلُّ فَعْلَةٍ لم يَتَقَدَّمْها مِثْلُها، وبَقَرَةٌ لم تحْمِلْ أو الفَتِيَّةُ.[2]

(١) الصحاح.

(٢) القاموس المحيط: فصل الباء.



وقال الزبيدي:

والبِكْرُ، بالكسر: العَذْرَاءُ، وهي التي لم تُفْتَضَّ. ومن الرِّجال: الذي لم يَقْرَبِ امرأَةً بَعْدُ. ج أَبكارٌ، والمصدرُ البَكَارَةُ: بالفتح.

والبِكْرُ: المرأَةُ، والنّاقَةُ، إذا وَلَدَتَا بَطْناً واحداً، والذَّكَرُ والأُنْثَى فيهما سَواءٌ، وقال أَبو الهَيْثَم: والعَرَبُ تُسَمِّي التي وَلَدَتْ بَطْناً واحداً بِكْراً: بوَلَدِهَا الذي تَبْتَكِرُ به، ويقال لها أَيضاً: بِكْرٌ ما لم تَلد، ونحوُ ذالك.[1]

هذا هو معنى البكر في لسان العرب، فلفظ البكر لايطلق أبداً على الجارية الصغيرة الحديثة السنّ، وإنما يطلق دائما على الفتاة التي بلغت النكاح، ولم يمسسها بشر، أو التي تزوجت ولم تلد، أو التي ولدت بطنا واحدا.

فإذا أطلقت السيدة خولة على السيدة عائشة لفظ البكر في حديثها مع النبي عليه الصلاة والسلام، ففيه دليل واضح على أنها ما كانت يومئذ بنت ست سنين، وماكانت جارية صغيرة حديثة السنّ، وإنما كانت فتاة بالغة صالحة للنكاح، وقادرة على تحمل أعباء النكاح.

لا نكاح إلا بالنساء

والقرآن لايذكر إلا نكاح النساء، حيث لايستخدم في سياق النكاح إلا لفظ النساء أو لفظ المرأة، ولايطلق لفظ النساء أو لفظ المرأة إلا على الفتيات اللاتي بلغن النكاح، مثلما نرى في هذه الآيات:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا

(١) الزبيدي–تاج العروس من جواهر القاموس– بكر.



تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾﴾.[1]

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾.[2]

﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾﴾.[3]

﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾.[4]

فلانكاح بالجواري الصغيرات، وإنما النكاح بالنساء البالغات، سواء كنّ أبكارا أو ثيبات. قال تعالى:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴿٥﴾﴾.[5]

وذلك لأن نكاح الطفلة الصغيرة، أو الجارية الحديثة السنّ، لا نجد له أصلا في كتاب الله.

إذاً فلماذا هذا الالتزام الشديد ببيان سنّ أم المؤمنين السيدة عائشة في كل رواية؟

(١) سورة النساء: ٤.

(٢) سورةالنساء: ٢٢.

(٣) سورةالنساء:١٢٧.

(٤) سورة الأحزاب:٥٠.

(٥) سورة التحريم: ٥.

ولماذا هذا الإصرار على كونها ابنة ست سنين في وقت نكاحها؟ حتى إنها تذكر في مكان لايتطلبها، بل تذكر في مكان يرفضها ويأباها؟ ولماذا هذا التركيز على حداثة سنّها، وعلى كونها جارية طوال صحبتها لرسول الله؟

فالحق أن مثل تلك الروايات كلها غير مضبوطة، وغير محفوظة. ولنأخذ على سبيل المثال مارووه في سباق النبي عليه السلام مع السيدة عائشة، فالرواية في مسند الإمام أحمد كمايلي:

حديث السباق

حدثنا عبد الله حدثني أبى ثنا عمر أبو حفص المعيطي قال ثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس تقدموا، فتقدموا، ثم قال لي: تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت عنى حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال: تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقني فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك.

تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد رجاله ثقات رجال الشيخين غير عمر بن أبي حفص المعيطي.[1]

هنا يثور سؤال: متى كان هذا السباق، وفي أي سفر كان؟

هناك سباق تمّ في سفر، وأم المؤمنين كانت جارية فسَبَقت، ثم هناك سباق آخر تمّ في سفر آخر، وأم المؤمنين حملت اللحم وبدنت، فسُبِقت. فمتى كان السباق الأول؟ ومتى كان السباق الثاني؟

(١) مسند أحمد- حديث السيدة عائشة: ٤٣/ ٣١٣.



ولايعزبنّ عن بالنا ما كان بين السباقين من فترة طويلة حتى نسيت أم المؤمنين السباق الأول، حسبما ورد في الرواية!

غزوة بني المصطلق

هناك رواية تقول: إن أم المؤمنين رضي الله عنها كانت جارية حديثة السنّ في غزوة بني المصطلق، وهي التي تسمى غزوة المريسيع، وفيها صار ما صار من قصة الإفك! وكانت تلك الغزوة سنة أربع من الهجرة، وقيل: سنة خمس، وقيل: سنة ستّ.

روى الإمام البخاري عن الزهري قصة سفرها إلى تلك الغزوة بتفاصيلها، وفيها مايلي:

وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلن ولم يغشهن اللحم، وإنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم، حين رفعوه، خفة الهودج، فاحتملوه وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا!)[١]

فكانت أم المؤمنين جارية حديثة السنّ إلى السنة السادسة، حيث كانت غزوة بني المصطلق في القول الراجح في هذه السنة، قال محمد بن إسحاق بن يسار بعدما أورد قصة ذي قرد:

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجب، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ستّ.[٢]

(١) صحيح البخاري- باب تعديل النساء بعضهن بعضا.

(٢) ابن كثير-البداية والنهاية-غزوة بني المصطلق: ٤/ ١٥٦.



رواية حجة الوداع

وهناك رواية أخرى تقول: إن أم المؤمنين كانت جارية حديثة السن حين خرج النبي عليه الصلاة والسلام بأزواجه وأصحابه لحجة الوداع! ولم تكن بين حجة الوداع وبين وفاة النبي عليه الصلاة والسلام إلا فترة قصيرة، فقد روى الإمام مسلم، والإمام أحمد قصة السيدة عائشة في حجة الوداع، واللفظ لأحمد، قال:

ثنا هاشم بن القاسم قال ثنا عبد العزيز يعنى بن عبد الله بن أبى سلمة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال كانت عائشة تقول: خرجنا مع رسول الله ﷺ ولا نذكر الا الحج، فلما قدمنا سرف طمثت، فدخل على رسول الله ﷺ وأنا أبكى!

فقال ما يبكيك؟ قلت وددت أنى لم أخرج العام! قال: لعلك نفست يعنى حضت. قالت قلت نعم. قال إن هذا شيء كتبه الله على بنات آدم، فافعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري.

فلما قدمنا مكة، قال رسول الله ﷺ لأصحابه اجعلوها عمرة، فحل الناس إلا من كان معه هدى، وكان الهدى مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وذوي اليسارة، قالت ثم راحوا مهلين بالحج، فلما كان يوم النحر طهرت، فأرسلنى رسول الله ﷺ فأفضت يعنى طفت. قالت: فأتينا بلحم بقر، فقلت ما هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ ذبح عن نسائه البقر.

قالت: فلما كانت ليلة الحصبة قلت يا رسول الله! يرجع الناس بحجة وعمرة وأرجع بحجة؟

فأمر عبد الرحمن بن أبى بكر فأردفنى على جمله، قالت فإني لأذكر وأنا جارية حديثة السن، أنى أنعس فتضرب وجهي مؤخرة الرحل، حتى جاء بي التنعيم فأهللت

بعمرة، جزاء لعمرة الناس التي اعتمروا.[١]

فإذا كانت أم المؤمنين جارية حديثة السن في غزوة بني المصطلق، وكانت جارية حديثة السنّ في حجة الوداع، فمتى حملت اللحم وبدنت؟ ومتى سابقها النبي عليه الصلاة والسلام، حتى سُبِقت ؟!

اضطراب في الأسانيد

ولايفوتنا التنبيه إلى أن رواية السباق رواها أهل الحديث بأسانيد مختلفة، وهي تدور في جميع طرقها على هشام بن عروة، والأسانيد فيها إبهام، وفيها اضطراب شديد:

فعند ابن أبي شيبة في مصنفه: عن هشام، قال حدثني رجل عن أبي سلمة عن عائشة.

وعند أبي داود في سننه: عن هشام بن عروة عن أبيه، وعن أبي سلمة عن عائشة.

وعند البيهقي في سننه الكبرى، والنسائي في سننه الكبرى: عن هشام بن عروة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال أخبرتني عائشة.

وعند النسائي أيضا في سننه الكبرى: عن هشام يعني ابن عروة عن رجل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة.

وهذا الوضع إن دل على شيء فإنما يدل على أن تلك الرواية مما رواها هشام بن عروة بعد ما كبر وتغير، فبدّل وغيّر.

(١) صحيح مسلم- باب بيان وجوه الإحرام - ومسند أحمد- حديث السيدة عائشة :٤٣ / ٣٦٤.



عقِلت عائشة حين أسلم أبواها

روى البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة، رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ قالت لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين.

وقال أبو صالح، حدثني عبد الله عن يونس، عن الزهري، قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة، رضي الله عنها، قالت لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية.

فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قبل الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأناأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي قال ابن الدغنة إن مثلك لا يخرج، ولا يخرج فإنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلادك.

فارتحل ابن الدغنة فرجع مع أبي بكر فطاف في أشراف كفار قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله، ولا يخرج أ تخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق؟ فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة:

مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا. قال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فطفق أبو بكر يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بالصلاة، ولا القراءة في غير داره.

ثم بدا لأبي بكر، فابتنى مسجدا بفناء داره وبرز، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون وينظرون إليه.

وكان أبو بكر رجلا بكّاء لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم فقالوا له:

إنا كنا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه في داره وإنه جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره وأعلن الصلاة والقراءة وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فأته فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن ذلك، فسله أن يردّ إليك ذمتك؛ فإنا كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال: قد علمت الذي عقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن تردّ إلي ذمتي؛ فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له.

قال أبو بكر: إني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله، ورسول الله ﷺ يومئذ بمكة.[١]

تفيد تلك الرواية أن أم المؤمنين السيدة عائشة كانت عاقلة حين أسلم أبواها، وما أسلم أبواها إلا فور ظهور الإسلام، وإليه يشير لفظ (قط) في قولها:(لم أعقل أبويّ قط إلا وهما يدينان الدين) فسارع أبواها إلى دين الإسلام، وكانت أم المؤمنين حينئذ عاقلة.

معنى العقل في اللغة

وما معنى العقل في قول أم المؤمنين: «لم أعقل أبويّ»؟

قال الفيروزابادي:

«العقل: العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها، أو العلم بخير

(١) صحيح البخاري–باب جوار أبي بكر في عهد النبي عليه السلام وعقده.



الخيرين وشر الشرين، أو مطلق لأمور أو لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن ولمعان مجتمعة في الذهن، يكون بمقدمات يستتب بها الأغراض والمصالح ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه. والحق أنه نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية.وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ».[١]

وقال الزبيدي:

العَقْل: الحِجْرُ والنُّهْيَة، ومثلُه في الصِّحاح، وفي المُحكَم: العَقْل: ضِدُّ الحُمق، أو هو العِلمُ بصفاتِ الأشياءِ من حُسنِها وقُبحِها، وكمالِها ونُقصانِها، أو هو العِلمُ بخيرِ الخَيرَيْن، وشَرِّ الشَّرَّيْن، أو مُطلَقٌ لأمورٍ أو لقُوَّةٍ بها يكون التَّمييزُ بين القُبحِ والحُسنِ، ولمَعانٍ مجُتمِعةٍ في الذِّهْنِ يكون بمُقَدِّماتٍ يسْتَتِبُّ بها الأغْراضُ والمَصالِح، ولهَيَئَةٍ محَمُودةٍ للإنسانِ في حَرَكَاتِه وكَلامِه. وقال الراغب: العَقْلُ يقال للقُوّةِ المتَهَيِّئَةِ لقَبولِ العِلم، ويقال للذي يَسْتَنبِطُه الإنسانُ بتلكَ القوّةِ عَقْلٌ.[٢]

هذا هو معنى العقل عند أئمة اللغة، فقول أم المؤمنين:(لم أعقل أبويّ قط إلا وهما يدينان الدين) إن دل على شيء فإنما يدل على أنها لم تكن حينئذ جارية حديثة السنّ، بل كانت أكثر من ذلك، حيث كانت تدرك حسن الأشياء وقبحها، وكانت تدرك ما هو الإسلام؟ وما هو الكفر؟

سنّ السيدة عائشة في ضوءالرواية

وإذا كانت أم المؤمنين السيدة عائشة عاقلة واعية في وقت إسلام أبويها، وقد أسلم أبواها في غُرّة شهر النبوة، فكم تكون سنّها إذا ضممنا إلى سنّها المقدّرة في وقت

(١) الفيروزابادي- القاموس المحيط: فصل العين.

(٢) الزبيدي-تاج العروس من جواهر القاموس: عفكل.



إسلام أبويها، عشر سنين أو أكثر، حيث توفيت أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنهم جميعا في العام الحادي عشر من النبوة؟

فتلك الرواية ـ وهي رواية صحيح البخاري ـ تدعم القول القائل بأن السيدة عائشة كانت بالغة ناضجة موفورة العقل مكتملة الشباب، حين ذكرتها السيدة خولة بنت حكيم للنبي ﷺ بعد وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة، حتى تسد مسدّها، وتقوم بدورها في ملء الفراغ الذي حدث في حياة النبي ﷺ بسبب وفاتها.

ولعل هذا هو السبب في أن السيدة خولة ذكرت له عليه السلام السيدة عائشة قبل السيدة سودة، وذهبت إلى بيتها للخطبة قبل أن تذهب إلى بيت السيدة سودة، وعُقد النكاح على السيدة عائشة قبل أن يُعقد على السيدة سودة.

وما أبعد مارواه ابن سعد، قال: كانت عائشة وُلدت السنة الرابعة من النبوة في أولها**!**[(١)]

زواج السيدة عائشة قبل زواج أختها أسماء

لقد علمنا فيما مضى أن السيدة أسماء بنت أبي بكر زوّجت قبل الهجرة ببضعة أشهر، أو مايدانيها، حيث ولدت ولدها الأول بقباء بعد هجرتها إلى المدينة المنورة مباشرة.وكانت في حين نكاحها ابنة ست وعشرين أو سبع وعشرين سنة.

وأما أختها السيدة عائشة فهي أيضا زُوجت في مثل سنّها، وزُوجت قبلها بثلاث سنين، أو أقل منها قليلا أوأكثر، حينما توفيت السيدة خديجة في مكة في عامها الحادي عشر من النبوة.

فهي أكبر من أختها السيدة أسماء بسنين، خلاف ماهو المشهور بين أهل السير!

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٧٨.



قال ابن كثير: أسلمت أسماء قديما وهم بمكة في أول الاسلام، وهي آخر المهاجرين والمهاجرات موتا، وهي أكبر من أختها عائشة بعشر سنين.[١]

وقال ابن عبد البر: أخبرنا أحمد بن قاسم حدثنا محمد بن معاوية حدثنا إبراهيم بن موسى بن جميل حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي حدثنا نصر بن علي حدثنا الأصمعي قال حدثنا ابن أبي الزناد قال: قالت أسماء بنت أبي بكر وكانت أكبر من عائشة بعشر سنين أو نحوها ـ قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة وهو يقول: يا معشر قريش والله لا آكل ما ذبح لغير الله! والله ما على دين إبراهيم أحد غيري![٢]

مثل هذه الأقوال لانعدمها عند أهل السير، ولكنها أقوالهم بأفواههم، لايقترن بها دليل، فلم يقل ذلك أبوبكر ولاعائشة، ولاأسماء، ولا أحد من إخوتهما، ولاأحد من الصحابة، والقرائن كلها تأبى ذلك.

ليت رجلا صالحا يحرسني!

روى الإمام مسلم في صحيحه ما يدل على كون عائشة في جنب النبي ﷺ وفي كنفه في أول مقدمه إلى المدينة، قال:

حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث ح وحدثنا محمد بن رمح أخبرنا الليث عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عائشة قالت: سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة، فقال: «ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة».

قالت فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح فقال «من هذا؟». قال سعد بن أبى وقاص. فقال رسول الله ﷺ «ما جاء بك؟». قال وقع فى نفسى خوف على رسول الله ﷺ

(١) انظر:البداية والنهاية:٨/ ٣٤٦ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر:٢/ ٦١٦.



فجئت أحرسه. فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام.

وفى رواية ابن رمح: فقلنا من هذا؟[١]

مايستفاد من الرواية

تفيد تلك الرواية عدة فوائد، وهي كما يلي:

الفائدة الأولى:

حينما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ماكان يأمن كيد اليهود وعملاء اليهود، وكان يحسّ خطرا شديدا منهم فإن المدينة إن كانت تضم فوجا من الأنصار، فقد كانت تضم في نفس الوقت عصابات من الأعداء.

وكانت تحيط بها قبائل اليهود، من بني قينقاع، ومن بني النضير، ومن بني قريظة. وهم كانوا أشد عداوة، وأشدضراوة من كفار قريش، فكانوا يتربصون به، وكانوا يكيدون له كيدا، وكانوا يريدون أن يتخطفوه!

فالنبي ﷺ وأصحابه ماكانوا بمأمن منهم، وكانوا منهم في خطر أيّ خطر!

الفائدة الثانية:

وكان من شأن النبي عليه الصلاة والسلام في تلك الأيام، أنه كان يقضي الليل ساهرا، لا يكتحل بنوم، وكان يفعل ذلك حذرا من اليهود وعملاء اليهود، وربما كان في تعب ونصب شديد، فودّ لو يحرسه أحد من أصحابه حتى يأخذ قسطا من الراحة.

---

(١) صحيح مسلم: باب في فضل سعد بن أبي وقاص.



الفائدة الثالثة:

وكانت أم المؤمنين عائشة شاهدة عيان لما يجري في الساحة، وهي التي روت تلك الأحوال، وكانت يومئذ في بيت النبي عليه السلام، حيث سمعت غطيطه عليه السلام في نومه، وهي إلى جنبه.فقد روى الإمام البخاري:

حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال، حدثني يحيى بن سعيد سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: قالت عائشة أرق النبي ﷺ ذات ليلة، فقال: ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة، إذ سمعنا صوت السلاح، قال: من هذا؟ قيل: سعد يا رسول الله! جئت أحرسك، فنام النبي ﷺ حتى سمعنا غطيطه.[١]

وروى الإمام أحمد ثنا يزيد قال انا يحيى قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث أن عائشة كانت تحدث: أن رسول الله ﷺ سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه، قالت فقلت: ما شانك يا رسول الله؟ قالت فقال: ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة!

قال فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح، فقال من هذا؟ قال أنا سعد بن مالك، فقال ما جاء بك؟ قال جئت لأحرسك يا رسول الله! قالت: فسمعت غطيط رسول الله ﷺ في نومه.

تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.[٢]

متى كانت تلك الظروف بالتحديد؟

ولم تكن تلك الظروف إلا في أول مقدم النبي عليه السلام إلى المدينة، حيث

(١) صحيح البخاري:كتاب بدءالوحي.

(٢) مسندأحمد:٤٢/ ١٨.



روى الإمام النسائي:

أخبرنا عمرو بن يحيى بن الحارث قال أنا أبو صالح قال أنا أبو إسحاق عن يحيى بن سعيد قال أخبرني عبد الله بن عامر عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ في أول ما قدم المدينة يسهر من الليل، فقال: ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة!

فبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوت السلاح، قال رسول الله ﷺ من هذا؟ قال أنا سعد، جئت أحرسك. قالت: ونام رسول الله ﷺ.(١)

فهل تدع تلك الروايات مجالا للشك في أن أم المؤمنين السيدة عائشة قد دخلت في حياة النبي عليه الصلاة والسلام وعاشرته من قبل أن يهاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة؟ وإلا فهي كيف تحكي الأحوال الخاصة بالنبي عليه السلام مما جرى بعد وصوله إلى المدينة المنورة مباشرة؟ وكيف تروي كلمات قالها النبي عليه السلام حين ضمّ عليه الليل شملته؟ وكيف سمعت أذنها كلمات لم تسمعها أذن غيرها؟

وهي لاتحكي تلك الأحوال بواسطة أم المؤمنين السيدة سودة، ولاغيرها من الرجال والنساء، بل تحكي ما شاهدته بعينيها، وسمعته بأذنيها، وهي في بيته، وإلى جنبه عليه الصلاة والسلام.

كلام أهل السير فيه نظر

وهل تدع تلك الروايات مجالا للقول بأن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها تمّ زفافها بعد هجرة النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة بسبعة أشهر، أوثمانية أشهر، أو تسعة أشهر، أو ثمانية عشر شهرا، كما ذهب إليه أهل السير؟

---

(١) سنن النسائي الكبرى:٥/ ٦١/ ٨٢١٧–دارالكتب العلمية–بيروت–طبعة أولى.



قال ابن كثير: «وبنى رسول الله ﷺ بعائشة في شوال من هذه السنة. قال الامام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية، عن عبد الله بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بى في شوال....

فعلى هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر، أو ثمانية أشهر».[١]

وقال المقريزي: «وبنى بعائشة رضي الله عنها بعد مقدمه بتسعة أشهر، وقيل: بثمانية أشهر، وقيل: بثمانية عشر شهرا في يوم الأربعاء من شوال، وقيل: في ذي القعدة، بالسنح في بيت أبي بكر».[٢]

السيدة عائشة في عيادة المرضى

من المشهور المعلوم أن أصحاب رسول الله حينما هاجروا من مكة المكرّمة إلي المدينة المنورة وجدوا بيئة المدينة المنورة لاتلائمهم، فوعكوا، وعك سيدنا أبوبكر، ووعك سيدنا بلال، ووعك عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وكانت السيدة عائشة هي التي تقوم بعيادتهم، وتمريضهم.فقد روى الإمام البخاري:

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال ـ قالت ـ فدخلت عليهما فقلت يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟

قالت فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

(١) السيرة النبوية لابن كثير:٢/ ٣٣٢-٣٣٣.

(٢) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: ١/ ٧٠-دارالكتب العلمية-بيروت.



كـــــل امــــرئ مصــــبح في أهلـــه والمـــوت أدنـــى مـــن شراك نعلـــه.

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته، ويقول:

ألا ليـــت شـــعري هـــل أبيـــتن ليلـــة بـــواد وحـــولي إذخـــر وجليـــل

وهـــل أردن يومـــا ميـــاه مجنـــة وهـــل يبـــدون لي شـــامة وطفيـــل.

قالت عائشة فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد، وصحّحها وبارك لنا في صاعها، ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة.(١)

عادت أباها بعدما استأذنت رسول الله

وما قامت السيدة عائشة بعيادتهم وتمريضهم إلا بعد ما استأذنت رسول الله، كما روى الإمام أحمد:

ثنا حجاج قال ثنا ليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي بكر بن إسحاق بن يسار عن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة أنها قالت:

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة اشتكى أصحابه، واشتكى أبو بكر، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وبلال. فاستأذنت رسول الله ﷺ عائشة في عيادتهم فأذن لها فقالت لأبي بكر كيف تجدك فقال:

كـــــل امــــرئ مصــــبح في أهلـــه والمـــوت أدنـــى مـــن شراك نعلـــه

وسألت عامرا فقال:

وجـــدت المـــوت قبـــل ذوقـــه إن الجبـــان حتفـــه مـــن فوقـــه

(١) صحيح البخاري- كتاب بدءالوحي.



وسألت بلالا فقال:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفج وحولي إذخر وجليل

فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بقولهم، فنظر إلى السماء ثم قال:

اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة وأشد، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل وباءها إلى مهيعة، وهي الجحفة كما زعموا.

تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.(١)

ويشبهه ماروى صاحب السيرة الحلبية، قال:

«وكان كل من أبى بكر، وعامر، وبلال، فى بيت واحد، قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فاستأذنت رسول الله ﷺ فى عيادتهم، فدخلت عليهم، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، فإذا بهم مالا يعلمه إلا الله تعالى، من شدة الوعك!

فسلمت عليهم وقالت لأبيها: يا أبت كيف أصبحت؟ فأنشدها الشعر المتقدم، قالت فقلت: إنا لله! إن أبى ليهذى! قالت فقلت لعامر بن فهيرة كيف تجدك فقال:

إنى وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

قالت فقلت: هذا والله لا يدري ما يقول، قالت ثم قلت لبلال: كيف أصبحت؟ فإذا هو لا يعقل، وفى رواية فأنشدها البيتين.

قالت: وذكرت حالهم للنبى ﷺ وقلت إنهم يهذون، ولا يعقلون من شدة الحمى!»(٢)

---

(١) مسندأحمد- حديث السيدة عائشة:٤٣/ ٤٨.

(٢) السيرةالحلبية في سيرة الأمين المأمون: ٢/ ٢٨٢.



متى كان الوعك؟ وأين كانت عائشة؟

وهنا يثور سؤال: متى كانت شكاة أصحاب رسول الله التي اشتكوها؟ هل كانت فور مقدمهم إلى المدينة، أم كانت بعد فترة من الزمن؟

الظاهرالمتبادر من الروايات أنها كانت فور مقدمهم إلى المدينة.

ونرى أم المؤمنين السيدة عائشة هي التي تقوم بعيادة أبيها سيدنا أبي بكر، ومن معه: من بلال، وعامر بن فهيرة، ونراها تستأذن رسول الله في عيادتهم، قبل أن تقوم بعيادتهم. ثم تذكر له عليه السلام أحوالهم الصحيّة، وتذكر له جزعهم، وتذكر له الأبيات التي تنطلق من أفواههم من شدة الألم!

فإن كانت السيدة عائشة مازالت مع أبويها في بيتهما، وما زفّت إلى رسول الله بعدُ، فهل كانت بحاجة لعيادة أبيها في بيته إلى الاستئذان من رسول الله؟

وهل هي تنقل إلى النبي عليه الصلاة والسلام كلما تسمع وتبصر منهم، حتى إذا كانوا يتنفسون الصعداء، وإذاكانوا ينطقون بما يجري على ألسنتهم من شدة الألم والكرب، وهي مازالت تنتظر الزفاف؟

ثم إن كانت السيدة عائشة وقتئذ جارية حديثة السن، وفي البيت من هو أكبر منها، سواء كانت أمها، أو أختها السيدة أسماء ـ على افتراض أنها كانت أكبر منها ـ ، فهل يُسند إليها مع حداثة سنّها، أمر عيادة كبير الأسرة، ألا وهو سيدنا أبوبكر، وسيدنا أبوبكر ليس وحده، بل معه بلال، وعامر بن فهيرة؟

فإن أُسند هذا الأمر إلى السيدة عائشة، والأمر ليس سهلا يسيرا، بل هو في غاية الصعوبة، فإن الوعك شديد، والمرضى في شدة الجزع، ولايقوم بعيادة مثل هؤلاء المرضى إلا من كان يملك خبرة واسعة، وكفاءة عالية في العيادة والتمريض.

هذا الوضع كله إن دل على شيء فإنما يدل على أن أم المؤمنين السيدة عائشة لم تك وقتئذ جارية حديثة السنّ، بل كانت فتاة بالغة ناضجة ذات خبرة واسعة وكفاءة عالية، وكانت أقدر من غيرها، على هذا العمل الصعب الشديد.

السيدة عائشة في غزوة بدر

ومما ورد في الصحاح أن أم المؤمنين السيدة عائشة خرجت مع النبي عليه الصلاة والسلام عندما خرج لغزوة بدر، وكانت معه في بدر، وإذا صدّقنا الروايات التي وردت في سنّ نكاحها، فسنّها كانت تتراوح حينئذ بين تسع سنين وعشرسنين!

ومما يدل على أنها شهدت غزوة بدر أنها تحكي ما جرى في أثناء السفر إلى بدر، وتحكيه بدقة شديدة، فقد روى أهل السنن والجوامع في سننهم وجوامعهم مايلي، واللفظ للإمام مسلم:

حدثنى زهير بن حرب حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن مالك ح وحدثنيه أبو الطاهر ـ واللفظ له ـ حدثنى عبد الله بن وهب عن مالك بن أنس عن الفضيل بن أبى عبد الله عن عبد الله بن نيار الأسلمى عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت خرج رسول الله ﷺ قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه فلما أدركه، قال لرسول الله ﷺ جئت لأتبعك وأصيب معك. قال له رسول الله ﷺ «تؤمن بالله ورسوله». قال لا. قال «فارجع فلن أستعين بمشرك». قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة، أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبى ﷺ كما قال أول مرة، قال «فارجع فلن أستعين بمشرك». قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: «تؤمن بالله ورسوله». قال نعم. فقال له رسول الله ﷺ: «فانطلق».[١]

(١) صحيح مسلم(١٨١٧) وأبوداود (٢٧٣٢) والترمذي (١٥٥٨) وأحمد (٣/ ١٤٨-١٤٩).

حكاية دقيقة تجعل الحادث شاخصا

فنرى السيدة عائشة تحكي قصة ذلك الرجل بدقة تجعل الحادث واضحا شاخصا ماثلا أمام السامع، فهي تحكي أن رجلا كان من شأنه كذا وكذا، لقي النبي عليه السلام بمكان كذا، وقال له كذا، فسأله النبي عليه السلام كذا، فكان الرد من الرجل كذا، فرد عليه النبي عليه السلام كذا، ثم عاد إليه الرجل ولقيه ثانيا بمكان كذا، فكان الرد من النبي عليه السلام كذا، ثم عاد إليه الرجل ولقيه ثالثا بمكان كذا، فكان الرد من النبي عليه السلام كذا، ثم كانت نهاية القصة كذا.

هذا البيان المفصل الدقيق من أم المؤمنين السيدة عائشة بخصوص ذلك الرجل، إن دل على شيء، فإنما يدل على أنها كانت مع رسول الله عليه الصلاة والسلام حينما جاءه هذا الرجل، وبالتالي هي صحبت رسول الله في سفره إلى بدر، ونالت فضيلة الشهود في مشهد بدر.

وليس لقائل أن يقول: الذي حكته أم المؤمنين إنما حكته سماعا من غيرها ممن شهد بدرا، فإنها تقول في حكايتها: (حتى إذا كنّا بالشجرة، أدركه الرجل) فأم المؤمنين كانت بذاتها الكريمة ونفسها النفيسة مع النبي عليه الصلاة والسلام في هذا السفر.وهي ماحكت إلا ماوقع تحت سمعها وبصرها.

كلام النووي لا يخلو من تكلف

وأما ماقاله الإمام النووي في تأويل (حتى إذا كنابالشجرة) فلايخلو من تكلف.قال رحمه الله:

«قوله (عن عائشة قالت ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل) هكذا هو في

النسخ حتى إذا كنا فيحتمل أن عائشة كانت مع المودعين فرأت ذلك ويحتمل أنها أرادت بقولها(كنا) كان المسلمون والله أعلم».[(١)]

فالذي ذكره الإمام النووي من الاحتمالين بعيد جدّ بعيد؛ فإن (حرة الوبرة) موضع على نحو من أربعة أميال من المدينة، حسبما ذكره القاضي عياض.[(٢)]

و(الشجرة) بعد (حرة الوبرة) بأميال، فليس من السهل أن تذهب أم المؤمنين لتوديع جيش المؤمنين إلى هذا المكان البعيد، ثم ترجع!

وهل أتى ناس من أهلها إلى الشجرة لتوديع الجيش الإسلامي حتى ترجع أم المؤمنين معهم؟

وأما الاحتمال الثاني أنها أرادت بقولها (كنا) (كان المسلمون) فهو في غاية البعد من ناحية اللغة.وما لجأ الإمام النووي إلى هذه التكلفات إلا لتعلقه بالكلام السائد المشهور أن أم المؤمنين كانت صغيرة!

تلك ميزة للسيّدة عائشة!

وعلى أية حال، فالرواية صحيحة ثابتة عند أئمة الحديث، وهي واضحة في أن أم المؤمنين خرجت مع النبي عليه الصلاة والسلام إلى غزوة بدر، وتلك ميزة لها، لا يجاريها فيها غيرها من أمهات المؤمنين!

ومما يؤكد أن أم المؤمنين السيدة عائشة كانت مع النبي عليه الصلاة والسلام في غزوة بدر ما رواه الإمام أحمد في مسنده، قال:

---

(١) شرح النووي على مسلم: ١٢/ ١٩٩-دار إحياء التراث العربي-بيروت.

(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: ٦/ ١١٠.



ثنا محمد بن جعفر ثنا سعيد عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة: إن رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر.

تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، محمد بن جعفر ـ وإن سمع من سعيد (وهو ابن أبي عروبة) بعد الاختلاط ـ قد توبع وبقية رجاله ثقات، رجال الشيخين.[١]

وروى ابن حبان في صحيحه: أخبرنا الحسن بن سفيان الشيباني قال: حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر.

قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.[٢]

فلفظ الرواية واضح بيّن في أن أم المؤمنين ماروت إلا مارأته وشاهدته بعينيها يوم بدر، ولاداعي لصرفه عن ظاهره إلا لصارف قويّ قاهر، وهو غير وارد.

قرينة أخرى واضحة

يذكر لنا التاريخ أن سيدنا عمر بن الخطاب كان في أيام خلافته يفرض لأمهات المؤمنين، كما كان يفرض لأهل بدر من المهاجرين والأنصار.

وكان يفرض لأمهات المؤمنين عشرة آلاف درهم، وكان يفضّل السيدة عائشة عليهن بألفي درهم، فكان يفرض لها اثني عشر ألف درهم. يقول البلاذري:

حدثنا الحسين بن الاسود قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبى اسحاق، عن

(١) مسند أحمد:٤٢/ ٨٦.

(٢) صحيح ابن حبان:١٠/ ٥٥٣/ ٤٦٩٩ - ٤٧٠٢- والهيثمي في مجمع الزوائد:٥/ ١٧٤.



مصعب بن سعد أن عمر فرض لاهل بدر في ستة آلاف ستة آلاف، وفرض لامهات المؤمنين في عشرة آلاف عشرة آلاف، وفضل عائشة بألفين لحب رسول الله ﷺ إياها، وفرض لصفية، وجويرية، في ستة آلاف ستة آلاف، وفرض لنساء من المهاجرات في ألف ألفا، منهن أم عبد وهي أم عبد الله بن مسعود.[1]

وقال: حدثنا عمرو الناقد وأبو عبيد قالا: ثنا أحمد بن يونس، عن أبى خيثمة قال: حدثنا أبو اسحاق، عن مصعب بن سعد أن عمر فرض لاهل بدر من المهاجرين والانصار ستة آلاف ستة آلاف.

وفرض لنساء النبي ﷺ عشرة آلاف عشرة آلاف، وفضل عليهن عائشة ففرض لها اثني عشر ألف درهم.[2]

هنا يثور سؤال بطبيعة الحال: لماذا كان هذا التفضيل للسيدة عائشة على سائر أمهات المؤمنين؟ والبلاذري أيضا ثار في ذهنه هذا السؤال، وعلّل هذا التفضيل بحبّ رسول الله إياها.

وهذا التعليل ليس له وجه وجيه؛ فإن حب رسول الله ما كان حكرا على السيدة عائشة، بل كان حبه وحنانه وشفقته عليه السلام عامّا ومتاحا للجميع، مثل نسيم الصبح، ومثل نور القمر، ومثل الغيث المنهمر. وكان يشعر كل من لقيه أنه أحب إليه وآثر عنده من غيره!

ومن الممكن جدا أن يكون سبب هذا التفضيل شهود أم المؤمنين غزوة بدر، وتلك خصيصة لأم المؤمنين السيدة عائشة، دون غيرها من أمهات المؤمنين!

وإذا ثبت أن أم المؤمنين السيدة عائشة كانت ممن شهد بدرا، فلنعلم أن النبي عليه

(١) البلاذري – فتوح البلدان:١/ ٤٣٧.

(٢) نفس المصدر: ١/ ٤٣٨.



الصلاة والسلام ما كان يسمح لشخص بالخروج إلى الغزوة إلا إذا كان ابن خمس عشرة سنة، فما فوقها.

ردّ من كان دون خمسة عشر

فقد روى الإمام البخاري: حدثنا عبيد الله بن سعيد، حدثنا أبو أسامة، قال: حدثني عبيد الله، قال: حدثني نافع، قال: حدثني ابن عمر، رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ عرضه يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزني ثم عرضني يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة فأجازني.

قال نافع: فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة، فحدثته هذا الحديث فقال: إن هذا لحد بين الصغير والكبير، وكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة.[1]

وروى الإمام مسلم نحوه، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبى حدثنا عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال عرضنى رسول الله ﷺ يوم أحد فى القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزنى، وعرضنى يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة سنة، فأجازنى.

قال نافع فقدمت على عمر بن عبد العزيز، وهو يومئذ خليفة، فحدثته هذا الحديث فقال: إن هذا لحد بين الصغير والكبير. فكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن كان ابن خمس عشرة سنة، ومن كان دون ذلك فاجعلوه فى العيال.[2]

وقال الإمام ابن كثير معلقا على تلك الروايات:

---

(١) صحيح البخاري-كتاب بدءالوحي.

(٢) صحيح مسلم- باب بيان سن البلوغ.



«قلت وقد رد رسول الله ﷺ جماعة من الغلمان يوم أحد، فلم يمكنهم من حضور الحرب لصغرهم، منهم عبد الله بن عمر، كما ثبت في الصحيحين قال: عرضت على النبي ﷺ يوم أحد، فلم يجزني. وعرضت عليه يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة، فأجازني. وكذلك رد يومئذ أسامة بن زيد، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وأسيد بن ظهير، وعرابة بن أوس بن قيظي، ذكره ابن قتيبة، وأورده السهيلي، وهو الذي يقول فيه الشماخ:

إذا مـــــا رايـــــة رفعـــــت لمجـــــد تلقاهـــــا عرابـــــة بـــــاليمين

ومنهم ابن سعيد بن خيثمة، ذكره السهيلي أيضا، وأجازهم كلهم يوم الخندق.

وكان قد رد يومئذ سمرة بن جندب، ورافع بن خديج، وهما ابنا خمس عشرة سنة، فقيل يا رسول الله أن رافعا رام فأجازه، فقيل يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعا فأجازه».[1]

لا تخرج إلى المعارك إلا الخبيرة المدرّبة

ولايعزبنّ عن بالنا أن تلك الأخبار تتعلق بالرجال والأشبال، وأما القوارير فهن لسن كالرجال ولسن كا لأشبال، ولاينبغي أن يقاس حكمهن بحكم الرجال والأشبال، فإن كان مسموحا للفتى أن يخرج إلى ساحة الوغى إذا بلغ من عمره خمسة عشر عاما، فلن يُسمح للمرأة أو للفتاة أن تخرج إلى ساحة الوغى في مثل هذه السنّ، بل لابد أن نزيد لها أعواما، نظرا إلى عجزها وجزعها، وضعف بنيتها، وقلة خبرتها في شؤون الحرب.

فلا تخرج إلى المعارك، حتى لمداواة الجرحى، وسقاية العطشى، وإعداد الوجبات للغزاة، إلا المرأة الناضجة القوية المدرّبة، الخبيرة بفنون القتال، والتي تحمل

(١) البداية والنهاية- غزوة أحد: ٤/ ١٥.



السلاح وتحمي نفسها، وتحمي غيرها إذا وقعت في الخطر، وأحاط بها العدو، ولم يكن في جنبها من يكفيها شرّهم.

والصحابيات اللاتي كن يشهدن الغزوات مع رسول الله كان شأنهن هكذا، فقدروى ابن سعد في طبقاته، وابن كثير في تاريخه، واللفظ لابن سعد:

أخبرنا أبو أسامة حماد بن أسامة، أخبرنا ابن عون، عن محمد، أن أم سليم كانت مع النبي ﷺ يوم أحد ومعها خنجر.

وأخبرنا يزيد بن هارون، وعفان بن مسلم، قالا: أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، أن أم سليم ا تخذت خنجرا يوم حنين. قال أبو طلحة: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر فقالت: يا رسول الله أ تخذه إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، وقال عفان: بعجت به بطنه، أقتل الطلقاء وأضرب أعناقهم إن انهزموا بك، قال: فتبسم رسول الله وقال: يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن.[1]

وروى ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا يعقوب بن محمد، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال: قالت أم عمارة نسيبة بنت كعب: شهدت عقد النبي ﷺ والبيعة له ليلة العقبة، وبايعت تلك الليلة مع القوم.

بلاء نسيبة بنت كعب!

قال محمد بن عمر: شهدت أم عمارة بنت كعب أحدا مع زوجها غزية بن عمرو وابنيها، وخرجت معهم بشن لها في أول النهار، تريد أن تسقي الجرحى.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤٢٥-دار صادر – بيروت – والبداية والنهاية-غزوة هوازن يوم حنين: ٤/ ٣٧٤.



فقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسنا، وجرحت اثني عشر جرحا، بين طعنة برمح أو ضربة بسيف، فكانت أم سعد بنت سعد بن ربيع تقول: دخلت عليها فقلت: حدثيني خبرك يوم أحد، قالت: خرجت أول النهار إلى أحد وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله، فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله بالسيف، وأرمي بالقوس حتى خلصت إلي الجراح، قالت: فرأيت على عاتقها جرحا له غور أجوف!

فقلت: يا أم عمارة من أصابك هذا؟ قالت: أقبل ابن قميئة، وقد ولى الناس عن رسول الله، يصيح: دلّوني على محمد! فلا نجوت إن نجا!

فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه، فكنت فيهم فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان.

فكان ضمرة بن سعيد المازني يحدث عن جدته، وكانت قد شهدت أحدا تسقي الماء، قالت: سمعت رسول الله ﷺ، يقول:

لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان. وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا.

وكانت تقول: إني لأنظر إلى ابن قميئة وهو يضربها على عاتقها، وكان أعظم جراحها فداوته سنة.

ثم نادى منادي رسول الله إلى حمراء الأسد فشدت عليها ثيابها، فما استطاعت من نزف الدم! ولقد مكثنا ليلتنا نكمد الجراح حتى أصبحنا، فلما رجع رسول الله من الحمراء ما وصل رسول الله إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل

عنها، فرجع إليه يخبره بسلامتها، فسرّ بذلك النبي ﷺ.[(١)]

هكذا كانت النساء المؤمنات يلعبن دورهنّ الرائع المدهش، ويقمن بمهمتهنّ الشائكة في معارك الجهاد، وتلك المهمة العظيمة ا لشائكة لاتصلح لها الحديثات السنّ، اللاتي ينقصهن الجدّ، ويشغلهن اللعب، وإنما لها النساء الناضجات الشديدات، اللاتي ضرّستهن الخطوب، ونجّذتهن الحروب!

السيدة عائشة واللعب بالبنات!

ولا شك أن أم المؤمنين السيدة عائشة كانت من تلك الناضجات الشديدات، ولم تكن من تلك الحديثات السنّ، اللاتي يشغلهن اللهو، ويلعبن باللُعَب كما رووا عنها، فقد روى الإمام مسلم:

حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا عبد العزيز بن محمد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله ﷺ قالت وكانت تأتينى صواحبى فكن ينقمعن من رسول الله ﷺ قالت فكان رسول الله ﷺ يسربهن إلى.[(٢)]

والرواية ليست بحيث يُطمئنّ إليها، ففيها عبد العزيز بن محمد الدراوردي، قد تُكُلم فيه، قال المزي:

قال أبو زرعة: سيىء الحفظ، فربما حدث من حفظه الشيء فيخطىء.

وقال النسائى فيما قرأت بخطه: عبد العزيز الدراوردى ليس بالقويّ.

وقال فى موضع آخر: ليس به بأس، وحديثه عن عبيد الله بن عمر منكر.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ٤١٢-٤١٣.

(٢) صحيح مسلم-باب في فضل عائشة.



وقال محمد بن سعد: ولد بالمدينة ونشأ بها، وسمع بها العلم والأحاديث، ولم يزل بها حتى توفى سنة سبع وثمانين ومئة، وكان ثقة كثير الحديث، يغلط.[١]

وقال ابن حبان في «الثقات»: كان يخطىء.

وقال الساجى: كان من أهل الصدق والأمانة، إلا أنه كثير الوهم.[٢]

رواية صحيح البخاري

ولقد روى الإمام البخاري أيضا نفس الرواية بطريق آخر، فقال:

حدثنا محمد، أخبرنا أبو معاوية، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة، رضي الله عنه، قالت كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن إلي فيلعبن معي.[٣]

وهذا الطريق أيضا ليس مأمونا، فالرواية جاءت عن طريق أبي معاوية، وقد تُكلم فيه.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبى يقول: أبو معاوية الضرير فى غير حديث الأعمش مضطرب لا يحفظها حفظا جيدا. وقال ابن خراش: صدوق، وهو فى الأعمش ثقة، وفى غيره فيه اضطراب.

وذكره ابن حبان فى كتاب «الثقات»، وقال: كان حافظا متقنا، ولكنه كان مرجئا

(١) تهذيب الكمال للمزي: رقم ٣٤٧٠.

(٢) تهذيب التهذيب: ٦/ ٣٥٤.

(٣) صحيح البخاري: باب الانبساط إلى الناس.



خبيثا![1]

وقال ابن سعد: كان ثقة، كثير الحديث، يدلّس، وكان مرجئا.

وقال أبو داود: قلت لأحمد: كيف حديث أبى معاوية عن هشام بن عروة؟ قال: فيها أحاديث مضطربة، يرفع منها أحاديث إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم.[2]

روايات غير محفوظة

وعلى أية حال، فالروايات التي جاءت عن أم المؤمنين السيدة عائشة أنها كانت تلعب بالبنات روايات غير محفوظة، روايات هي أقرب إلى الكذب منها إلى الصدق، فالبيئة كانت بيئة الجدّ والجهاد، كانت بيئة القتال والنزال، وما كانت بيئة اللعب بالبنات.

وما كان الرجال فقط مفعمين بروح الجهاد، بل النساء أيضا كانت تملؤهن روح الجهاد، وكن يسهرن في تجهيز المجاهدين، وفي إعدادهم وإعداد زادهم وعتادهم.

وكانت الأمهات يربين الأولاد على روح الجهاد، وكانت أم المؤمنين عائشة من تلك النساء الفاضلات، ومن تلك الأمهات المجاهدات.

ظلم وإساءة إلى أم المؤمنين!

وكم ظلموا أم المؤمنين رضي الله عنها، وكم أساءوا إلى كرامتها حينما جعلوها تلعب بالبنات إلى آخر حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد روى الإمام أبوداود:

حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن أبى مريم أخبرنا يحيى بن أيوب قال

(١) تهذيب الكمال للمزي:٥١٧٣.

(٢) تهذيب التهذيب: ٩/ ١٣٩.

حدثنى عمارة بن غزية أن محمد بن إبراهيم حدثه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها قالت قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفى سهوتها ستر فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب فقال «ما هذا يا عائشة». قالت بناتى. ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال «ما هذا الذي أرى وسطهن». قالت فرس. قال «وما هذا الذي عليه». قالت جناحان. قال «فرس له جناحان»! قالت أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة! قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه.[1]

وروى الإمام البيهقي، فقال: أخبرنا أبو زكريا بن أبى إسحاق المزكى أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس حدثنا عثمان بن سعيد الدارمى حدثنا سعيد بن أبى مريم أنبأنا يحيى بن أيوب حدثنى عمارة بن غزية أن محمد بن إبراهيم التيمى حدثه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك وقد نصبت على باب حجرتى عباءة وعلى عرض بيتى ستر إرمنى فدخل البيت فلما رآه قال :«ما لى يا عائشة والدنيا !»

فهتك الستر حتى وقع بالأرض وفى سهوتها ستر فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب فقال: «ما هذا يا عائشة؟».

قالت: بناتى. قالت: ورأى بين طوبها فرسا له جناحان من رقع قال: «فما هذا الذى أرى فى وسطهن؟». قالت: فرس. قال: «ما هذا الذى عليه؟». قالت : جناحان. قال :«فرس له جناحان؟». قالت: أوما سمعت أن لسليمان بن داود خيلا له أجنحة قالت : فضحك حتى بدت نواجذه.[2]

(١) سنن أبي داود–باب في اللعب بالبنات:٧/ ٢٩٢.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي– باب ما جاء في اللعب بالبنات: ١٠/ ٣٧١.



سؤال وإشكال

وهنا يثورسؤال، ويثور إشكال، ولابد أن تكون لنا عنده وقفة جادة!

والسؤال: أهكذا استمرت أم المؤمنين السيدة عائشة مع لُعَبها وبناتها منذ طفولتها إلى أن زُفت إلى رسول الله، ثم إلى غزوة تبوك وما بعدها؟ وهل كانت هوايتها المفضلة في الحياة هي اللهو واللعب؟ وهل كانت امرأة غيرها في عهد رسول الله، كانت تميل إلى اللُعَب والبنات ذلك الميل _ الميل الذي ذكروه عن أم المؤمنين السيدة عائشة، سواء كانت تلك المرأة من أمهات المؤمنين، أم غير أمهات المؤمنين؟

وإذا كان التاريخ لايسعفنا بأيّ مثال آخر لمثل تلك الهواية الفارغة الضائعة في زمن رسول الله، فلماذا ألصقوا، ومازالوا يلصقون، بأم المؤمنين السيدة عائشة مالايليق بها، ولابأمثالها؟

ونحن على يقين لايشوبه شك، أن أم المؤمنين كانت على بُعد فراسخ من تلك الهواية الفارغة، ونقول لمن أرادوا أن يغضوا من شأنها، ويسيئوا إلى كرامتها:

وقـــد ينـــبح الكلـــب النجـــوم ودونـــه   فراســـخ تنضـــي الطّـــرف للمتأمّـــل

يحيى بن أيوب الغافقي

ومن الجدير بالذكر أن من رواة هاتين الروايتين، يحيى بن أيوب الغافقي، وقد تكلم فيه:

قال ابن سعد: منكر الحديث.

وقال الدارقطنى: فى بعض حديثه اضطراب، ومن مناكيره: عن ابن جريج عن

الزهرى عن سالم عن أبيه مرفوعا: وإن كان مائعا فانتفعوا به.

وقال الإسماعيلى: لا يحتج به.

وقال ابن شاهين فى «الثقات» قال ابن صالح: له أشياء يخالف فيها.

وقال الساجى: صدوق يهم، كان أحمد يقول: يحيى ين أيوب يخطىء خطأ كثيرا.

وقال الحاكم أبو أحمد: إذا حدث من حفظه يخطىء، وما حدث من كتاب فليس به بأس. وذكره العقيلى فى «الضعفاء».[1]

نعود إلى حديثنا عن غزوة بدر، ونقول: إن أم المؤمنين السيدة عائشة شهدت مشهد بدر من غير شك، ولابد أن تكون حينئذ ناضجة قوية ذات سنّ تصمد للأواء الحرب، ولانملك تحديد سنّها بالضبط، إلا أننا لا نستبعد أن تكون في ذلك الوقت فوق الثلاثين سنة.

أم المؤمنين عائشة في غزوة أحد

ونرى أم المؤمنين السيدة عائشة تشهد مشهد أحد بعد مشهد بدر، فقد روى الإمام البخاري:

حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز، عن أنس، رضي الله عنه، قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القرب ـ وقال غيره تنقلان القرب ـ على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها في

(١) انظر: تهذيب التهذيب: ١١/ ١٨٧.



أفواه القوم.[١]

وروى الإمام مسلم، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى حدثنا عبد الله بن عمرو ـ وهو أبو معمر المنقرى ـ حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز ـ وهو ابن صهيب ـ عن أنس بن مالك قال لما كان يوم أحد انهزم ناس من الناس عن النبى ﷺ وأبو طلحة بين يدى النبى ﷺ مجوب عليه بحجفة ـ قال ـ وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد النزع وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثا ـ قال ـ فكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول انثرها لأبى طلحة.

قال ويشرف نبي الله ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: يا نبى الله بأبى أنت وأمى لا تشرف، لا يصبك سهم من سهام القوم، نحرى دون نحرك ! قال ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما، ثم تفرغانه فى أفواههم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان تفرغانه فى أفواه القوم.[٢]

وروى الإمام مسلم: حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى.[٣]

فكانت عائشة وأم سليم تسقيان الماء، وتداويان الجرحى في غزوة أحد، وكانتا في منتهى الجد والنشاط، حيث شمرتا أذيالهما، وكانتا تنقلان القرب على متونهما، تفرغانه في أفواه الجرحى، وتسقيان العطشى.

تلك الحركة الدائبة، وهذا النشاط المتواصل في رعاية الجرحى، وسقاية العطشى

---

(١) صحيح البخاري-باب غزو النساءوقتالهن مع الرجال.

(٢) صحيح مسلم-باب غزو النساء مع الرجال.

(٣) نفس المصدر.



في ميدان الوغى، من غير خوف ولاوجل، إن دل على شيء، فإنما يدل على أن أم المؤمنين لم تكن حينئذ جارية حديثة السن، ولم تكن حديثة العهد بالحرب، وإنما كانت مثل صاحبتها أم سليم امرأة محنّكة ذات مراس شديد، قد نجّذتها التجارب، وأحكمتها الكوارث.

كوكبة من النساء في غزوة أحد

ومن نافلة القول أنه حضر غزوة أحد كوكبة من النساء الباسلات، حيث روى ابن الأثير، قال:

«وكانت أم أيمن حاضنة رسول الله، ﷺ، ونساء من الأنصار يسقين الماء، فرماها حبان بن العرقة بسهم فأصاب ذيلها، فضحك، فدفع النبي، ﷺ، إلى سعد بن أبي وقاص سهماً وقال: ارمه. فرماه فأصابه، فضحك النبي، ﷺ، وقال: استقاد لها سعد، أجاب الله دعوتك وسدد رميتك».[١]

نقول لم تشهد غزوة أحد نساء من الأنصار فقط، بل كانت ترافقهن نساء من المهاجرات أيضا، وكانت أم المؤمنين عائشة الصديقة، والسيدة صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله منهنّ، ولكن فات ابن الأثير ذكر نساء المهاجرين.

كانت أم المؤمنين من المبرّزات!

وعلى أية حال، كانت مع المقاتلين البواسل في غزوة أحد كوكبة من النساء الباسلات، إلا أن التاريخ لم ينوّه من تلك الكوكبة المباركة إلابثلاثة أسماء هي: السيدة

(١) الكامل في التاريخ- ذكر غزوة أحد: ٢/ ٤٩.



نسيبة بنت كعب، والسيدة أم سليم، والسيدة أم المؤمنين عائشة الصديقة. وليس ذلك إلا لأن هؤلاء الثلاث كن مبرّزات بنشاطهن وتجوالهنّ في ساحة الوغى، وكان لهن دور لاينسى في خدمة القوم ورعايتهم، والتوفير السريع لحاجاتهم، ولله الحمد.

أم المؤمنين في غزوة الخندق

ولما كانت غزوة الخندق، كانت المدينة مهددة من كل جانب، وربما لم تمرّ المدينة قبلها بظروف أسوء وأشدّ منها، فقد كان الأمر كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه:

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾.(١)

تلك الأوضاع الشديدة الحرجة أيضا لم تمنع أم المؤمنين السيدة عائشة من الخروج إلى موقع الغزوة، ومن ثقتها بنفسها القوية الشجاعة أنها خرجت وحدها، فقد روى الإمام أحمد عن علقمة بن وقاص:

قال أخبرتني عائشة قالت: خرجت يوم الخندق أقفوا آثار الناس، قالت فسمعت وئيد الأرض ورائي، يعني حس الأرض قالت: فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنة، قالت: فجلست إلى الأرض، فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه، فأنا أتخوف على أطراف سعد، قالت وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم، قالت: فمر وهو يرتجز ويقول:

لبث قليلا يدرك الهيجا حمل   ما أحسن الموت إذا حان الأجل

(١) سورة الأحزاب:١٢.



قالت: فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين، وإذا فيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه سبغة له، يعنى مغفرا.

فقال عمر: ما جاء بك ؟! لعمري والله إنك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوز!

قالت فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ فدخلت فيها! قالت فرفع الرجل السبغة عن وجهه، فإذا طلحة بن عبيد الله، فقال: يا عمر! ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم! وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل؟

قالت ويرمى سعدا رجل من المشركين من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له، فقال له: خذها وأنا ابن العرقة! فأصاب أكحله فقطعه، فدعا الله عز وجل سعد فقال: اللهم لا تمتني حتى تقرّ عيني من قريظة! قالت وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية.(١)

تلك الرواية تدل على أن أم المؤمنين السيدة عائشة ما كان لها قرار يوم الخندق، والنساء لم يُفسَح لهنّ المجال يومئذ حتى يحضرن القتال، فهي لم تكن في الساحة مع المجاهدين، ولكنها كانت تتابع الأحداث، وكانت ترصد عن شحط مايجري في الساحة! وكان يهيج بها الحماس أحيانا، فكانت تخرج حتى تنظر من كَثَب، وتطمئن إلى حال رسول الله، وأحوال المؤمنين.

ولعمري إنها لجريئة كما قال لها عمر الجريئ! وتلك حجة ظاهرة على أنها ماكانت يومئذ جارية حديثة السنّ، وإنما كانت فتاة بالغة ناضجة قوية قدحنّكتها السنّ، ونجّذتها التجارب، وكانت قادرة على أن تحمي نفسها بسلاحها، إن صادفها، أوتعرض لها عدوّ!

---

(١) مسند أحمد بن حنبل-حديث السيدة عائشة:٤٢/ ٢٨.



أسامة بن زيد والسيدة عائشة

قال أبوعيسى الترمذي: حدثنا الحسين بن حريث حدثنا الفضل بن موسى عن طلحة بن يحيى عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: أراد النبي ﷺ أن ينحي مخاط أسامة، قالت عائشة: دعني حتى أكون أنا الذي أفعل، قال: يا عائشة أحبّيه فإني أحبّه. قال هذا حديث حسن غريب.

قال الشيخ الألباني: حسن.[١]

الرواية صريحة في الفرق الكبير الذي كان يوجد بين سنّ أم المؤمنين السيدة عائشة، وبين سنّ أسامة بن زيد، فالفرق بينهما في السنّ مثل الفرق بين سنّ الأم وولدها، وأسامة كان من الصغر بحيث تنحي السيدة عائشة مخاطه!

ولقد علّق الذهبي على هذه الرواية، فقال: قلتُ كان سنّه في سنّها![٢]

يشي كلام الذهبي بأنه لم يكن مرتاحا لهذه الرواية، وكيف يرتاح لها أي ناقد أوباحث؟ إذا استقرّ في ذهنه أن أسامة بن زيد كان ترباً لأم المؤمنين. وهو أمر خلاف الواقع تماما، حيث تكذّبه الأدلة، وتكذّبه القرائن، والصحيح الثابت أن الفرق بين أسامة وبين أم المؤمنين مثل الفرق بين أم وابنها.

وهناك روايات أخرى تشبه هذه الرواية، روى الإمام أحمد، قال:

ثنا حجاج قال أنا شريك عن العباس بن ذريح عن البهي عن عائشة أن أسامة بن زيد عثر بأسكفة أو عتبة الباب فشج في جبهته، فقال لي رسول الله ﷺ: أميطي عنه أو نحى عنه الأذى، قالت فتقذرته، قالت فجعل رسول الله ﷺ يمصّه ثم يمجّه! وقال رسول

(١) سنن الترمذي- باب مناقب أسامة.

(٢) الذهبي- سير أعلام النبلاء-أسامة بن زيد :٢/ ٥٠١.



الله ﷺ: لو كان أسامة جارية لكسوته وحلّيته حتى أنفقه.

تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث حسن بطرقه.[١]

وروى ابن ماجه، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا شريك، عن العباس بن ذريح، عن البهي، عن عائشة، قالت: عثر أسامة بعتبة الباب، فشج في وجهه، فقال رسول الله ﷺ: أميطي عنه الأذى، فتقذرته، فجعل يمصّ عنه الدم، ويمجّه عن وجهه! ثم قال: لو كان أسامة جارية لحليته وكسوته حتى أنفقه![٢]

وقال ابن سعد:

أخبرنا عفان بن مسلم، وهاشم بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي، ويحيى بن عباد، قالوا: أخبرنا شريك، عن العباس بن ذريح ـ يعني: عن البهي، عن عائشة، قالت : عثر أسامة على عتبة الباب أو أسكفة الباب، فشجّ جبهته، فقال : يا عائشة أميطي عنه الدم، فتقذرته، قالت : فجعل رسول الله ﷺ يمص شجته ويمجه ! ويقول: لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أنفقه![٣]

عائشة في بيت النبي وأسامة طفل صغير!

تفيد تلك الروايات أن أسامة بن زيد كان صغيرا، لما كانت السيدة عائشة قداستقرت في بيت النبي عليه الصلاة والسلام، وأصبحت من أمهات المؤمنين. فأسامة بن زيد عثربأسكفة، أو عتبة الباب، والباب هو باب بيت السيدة عائشة، فشج في جبهته، والسيدة عائشة موجودة في بيتها، والنبي عليه السلام عندها، فقال لها: أميطي عنه الدم!

(١) مسند أحمد–حديث السيدة عائشة:٤٣/ ٥١.

(٢) سنن ابن ماجة– كتاب النكاح:٣/ ١٤٦/ ١٩٧٦.

(٣) الطبقات الكبرى:٤/ ٦١.



أوقال: نحّي عنه الأذى!

وهذا يعني أن أسامة بن زيد كان حينئذ بحيث ينحّي عنه مخاطه غيره، أو يميط عن رأسه، أو وجهه الدم غيره.

ثم قول النبي ﷺ: (لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أنفقه!) أيضا يدل على أن أسامة بن زيد كان طفلا صغيرا، ولايبعد أن يكون ابن أربع سنوات، أو مايقاربه؛ فإن مثل تلك الدعابات لاتكون إلا مع الصغير الذي يكون في مثل تلك السنّ.

سنّ أسامة حين وفاة الرسول

وحينما توفي النبي ﷺ كان أسامة بن زيد ابن ثماني عشرة سنة، أو تسع عشرة سنة، أو عشرين سنة على اختلاف الأقوال.

قال ابن كثير: توفي رسول الله وعمره ـ أي: عمر أسامة ـ تسع عشرة سنة.[١]

وقال صاحب مرعاة المفاتيح: أسامة مولى رسول الله ﷺ وابن مولاه، وحبه وابن حبه، قبض النبي ﷺ وهو ابن عشرين سنة، وقيل: ثماني عشرة سنة.[٢]

وقال الذهبي: قلت: لما أمّره النبي ﷺ على ذلك الجيش، كان عمره ثماني عشرة سنة.[٣]

(١) البداية والنهاية: ٨/ ٦٧.

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح: ٢/ ٣٩٥.

(٣) سير أعلام النبلاء، تحقيق: الأرنؤوط – أسامة بن زيد: ٢/ ٥٠٠.



كيف يزول ذلك الفرق الكبير؟

فإذاكان أسامة بن زيد في وقت وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ابن ثماني عشرة سنة، أو تسع عشرة سنة، أو عشرين سنة، فبأيّ حساب تكون السيدة عائشة في وقت وفاته عليه السلام في مثل تلك السنّ؟ وكيف يزول ذلك الفرق الكبير الذي كان يوجد بين أم المؤمنين السيدة عائشة وبين أسامة بن زيد في السنّ كما يقول أهل السير؟ قال ابن عبد البر:

«قال أبو عمر: وتوفي عنها ـ أي السيدة عائشة ـ ﷺ وهي بنت ثمان عشرة سنة، وكان مكثها معه ﷺ تسع سنين».[1]

إن ما قاله ابن عبد البرّ لايستقيم أبدا، ولا يركن إليه إلا من أغمض عينيه عن كل ما يتقدمه وما يتأخر!

فكل ماروي في شأن أسامة بن زيد من تنحية أم المؤمنين عائشة مخاطه، ومن عثرته على عتبة باب أم المؤمنين عائشة، ثم مصّ النبي عليه السلام دمه و مجّه، ثم مداعبته عليه السلام بما كان يداعبه، كل ذلك يوحي بطبيعته أنه حصل في مكة قبل الهجرة.

ولايتصور ذلك بعد الهجرة أبدا، حيث قد تجاوز أسامة بعد الهجرة إلى المدينة تلك السنّ التي ينحّى فيها مخاطه عنه، أو يداعب بتلك الدعابات التي تذكرها الروايات.

القول الراجح في وفاة السيدة خديجة

وهذا يقودنا إلى ظاهرة أخرى، وهي أن أم المؤمنين السيدة عائشة ماعمرت بيت رسول الله إلا في مكة قبل الهجرة؛ فإن أسامة بن زيد ما عثر إلا على عتبة باب عائشة،

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: ٤/ ١٨٨٢.



وما عثر إلا في مكة، حينما كان صغيرا.

وهذا يرجّح القول القائل بأن أم المؤمنين السيدة خديجة ماتت قبل الهجرة بخمس سنين. قال الكلاباذي:

«قال أبو عبيدة ومعمر بن المثنى: ماتت خديجة قبل الهجرة بخمس سنين، أو قال بأربع، ولم يتزوج عليها رسول الله ﷺ حتى ماتت رحمها الله».[1]

وقال ابن عبد البرّ:

«وقد قيل في موت خديجة إنه كان قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل بأربع على ما ذكرناه في بابها».[2]

التبس الأمر على الزهري

ولقد اختلف أصحاب السير في نكاح السيدة عائشة، ونكاح السيدة سودة، أيهما أقدم؟

وردت عن الزهري روايتان: رواية تقدم نكاح السيدة سودة على نكاح السيدة عائشة، وأخرى تقدم نكاح السيدة عائشة على نكاح السيدة سودة.

ثم الرواية التي تقدم نكاح السيدة عائشة على نكاح السيدة سودة، تؤخر البناء بالسيدة عائشة عن البناء بالسيدة سودة! فتجعل البناء بالسيدة سودة في مكة قبل الهجرة، وتجعل البناء بالسيدة عائشة في المدينة بعد الهجرة. قال الكلاباذي:

«هكذا قال أبو عبيدة ومعمر بن المثنى وقتادة بن دعامة وعقيل بن خالد عن

---

(١) رجال صحيح البخاري–أبونصرالبخاري الكلاباذي:٢/ ٨٣٦.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر: ٤/ ١٨٨١.



الزهري أن سودة أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد موت خديجة.

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل ويونس بن يزيد عن الزهري أن عائشة هي التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة، ثم تزوج سودة بعد عائشة. وخليق أن يكون عقد عائشة قبل عقد سودة، ثم البناء بسودة قبل البناء بعائشة؛ فإن النبي ﷺ بنى بسودة بمكة قبل الهجرة، وبنى بعائشة بالمدينة بعد الهجرة، والله أعلم».[١]

ولقد التبس الأمر على الإمام الزهري، كما التبس على غيره من أئمة الآثار، ولم يكن هذا الالتباس إلا نتيجة طبيعية لتلك الشائعة التي أشيعت بشكل رهيب، حيث أشيع أن السيدة عائشة كانت صغيرة حديثة السنّ حين عُقد عليها النكاح في مكة.

قصة أسامة تجلو الغمّة

فقصة أسامة بن زيد تجلو الغمة، وتبين أن السيدة عائشة ماكانت صغيرة حين عُقد عليها النكاح في مكة، بل كانت امرأة بالغة ناضجة، وأنها هي التي تزوجها رسول الله، بعد وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة.

ولم يكن هذا الزواج متأخرا لمدة سنتين أو ثلاث سنين بعد وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة، كماورد في رواية الإمام البخاري، قال:

حدثني عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة عن هشام، عن أبيه، قال توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين، أو قريبا من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين.[٢]

(١) رجال صحيح البخاري–أبونصر البخاري الكلابازي:٢/ ٨٣٦.

(٢) صحيح البخاري–كتاب بدء الوحي.



أو كما ورد في رواية الإمام البيهقي، قال:

«أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبى عمرو قالا حدثنا أبو العباس: محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه قال: تزوج رسول الله ﷺ عائشة رضى الله عنها بعد موت خديجة بثلاث سنين».[١]

وإنما كان هذا الزواج بعد وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة بوقت قريب، كما تنطق به طبيعة الموقف، وكما تنطق به الصحاح، وكما ينطق به التاريخ، وكما تنطق به القرائن التي ذكرناها، والتي سنذكرها في مكانها.

يونس بن بكير

وأما الروايات التي ذكرناها آنفا فهي غير محفوظة. فجهابذة الحديث تكلموا في يونس بن بكير، وهو ابن واصل الشيباني، وهومن رواة حديث البيهقي:

قال أبو عبيد الآجرى، عن أبى داود: ليس هو عندى حجة، يأخذ كلام ابن إسحاق فيوصله بالأحاديث، سمع من محمد بن إسحاق بالرى.

وقال النسائى: ليس بالقوى.

وقال فى موضع آخر: ضعيف.[٢]

وقال الجوزجانى: ينبغى أن (يتثبت) فى أمره.

وقال الساجى: كان ابن المدينى لا يحدث عنه، وهو عندهم من أهل الصدق.

(١) السنن الكبرى للبيهقي–باب ما جاء في إنكاح الأبكار:٧/ ١٨٤.

(٢) سير أعلام النبلاء–الذهبي:٩/ ٢٤٧.



وقال أحمد بن حنبل: ما كان أزهد الناس فيه وأنفرهم عنه، وقد كتبت عنه.[1]

هشام بن عروة

وأيضا تكلموا في هشام بن عروة، وهو الراوي الأصل لهاتين الروايتين، وروى هشام تلك الرواية عن أبيه، وأبوه عروة أرسلها إرسالا، حيث لم يكن ممن شهدنكاح أم المؤمنين السيدة عائشة، فقدكان نكاحها قبل مولده بنصف قرن، وأيضا لم يسمع الرواية من أم المؤمنين، ولا ممن شهد هذا النكاح، وإنما هو كلام أرسله إرسالا، وقاله بغير علم!

وهشام قد تغير في آخر حياته، وكان يروي عن أبيه عروة ماسمع منه ومالم يسمع!

قال ابن خراش: كان مالك لا يرضاه، وكان هشام صدوقا تدخل أخباره في الصحيح، بلغني أن مالكا نقم عليه حديثه لأهل العراق، قدم الكوفة ثلاث مرات، قدمة كان يقول حدثني أبي قال سمعت عائشة، وقدم الثانية فكان يقول أخبرني أبي عن عائشة، وقدم الثالثة فكان يقول أبي عن عائشة.

وقال الآجري عن أبي داود لما حدث هشام بن عروة بحديث أم زرع هجره أبو الأسود يتيم عروة. وقال العقيلي قال ابن لهيعة: كان أبو الأسود يعجب من حديث هشام عن أبيه، وربما مكث سنة لا يكلمه!

قال أبو الاسود لم يكن أحد يرفع حديث أم زرع غيره، وقال أبو الحسن بن القطان تغير قبل موته، ولم نر له في ذلك سلفا.[2]

---

(١) تهذيب التهذيب:١١/ ٤٣٥.

(٢) تهذيب التهذيب:١١/ ٤٥-٤٦.



ميلاد أم المؤمنين عائشة

قال الإمام ابن جرير الطبري، وهو يكشف القناع عن ميلاد أم المؤمنين السيدة عائشة:

حدث علي بن محمد عمن حدثه ومن ذكرت من شيوخه قال: تزوج أبو بكر في الجاهلية قتيلة، ووافقه على ذلك الواقدي والكلبي، قالوا: وهي قتيلة بنة عبدالعزى بن عبد بن أسعد بن جابر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي فولدت له عبد الله وأسماء.

وتزوج أيضا في الجاهلية أم رومان بنت عامر بن عميرة بن ذهل بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة. وقال بعضهم: هي أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة. فولدت له عبد الرحمن وعائشة.

فكل هؤلاء الأربعة من أولاده، ولدوا من زوجتيه اللتين سميناهما، في الجاهلية.[١]

فالسيدة عائشة كانت من مواليد العصر الجاهلي، أي: ولدت قبل طلوع فجر النبوة، نبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

وأختها السيدة أسماء أيضا كانت من مواليد العصر الجاهلي، ولدت قبل طلوع فجر النبوة، على صاحبها الصلاة والسلام.

(١) تاريخ الأمم والملوك – ذكر أسماء نساء أبي بكر الصديق: ٣/ ٤٢٦.



كانتا أختين للأب دون الأم

وكلتا الأختين كانتا من والدتين مختلفتين، فالسيدة عائشة أنجبتها السيدة أم رومان بنت عامر بن عميرة، والسيدة أسماء أنجبتها قتيلة بنت عبد العزّى.

وعلى هذا يمكن أن تكون الأختان سنّا واحدة، بحيث ولدتا في وقت متقارب، وهناك احتمال أن تكون إحداهما أسنّ من أختها.

ومال أصحاب السير عموما إلى أن السيدة أسماء كانت أسنّ من أختها السيدة عائشة، وكان الفرق بينهما عشر سنين، أو نحو عشر سنين. قال ابن كثير:

«وهي ـ أي: أسماء بنت أبي بكر ـ آخر المهاجرين والمهاجرات موتا، وهي أكبر من أختها عائشة بعشر سنين».[1]

وروى ابن عبد البرّ عن ابن أبي الزناد قال: قالت أسماء بنت أبي بكر ـ وكانت أكبر من عائشة بعشر سنين أو نحوها ـ قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة وهو يقول يا معشر قريش والله لا آكل ما ذبح لغير الله! والله ما على دين إبراهيم أحد غيري![2]

وقال الذهبي: وكانت ـ أي: أسماء بنت أبي بكر ـ أسنّ من عائشة ببضع عشرة سنة.[3]

وهكذا نرى أصحاب السير شبه متواطئين على أن السيدة أسماء كانت أسنّ من أختها السيدة عائشة، ولكنهم لم يأتوا له بدليل، ولم يذكروا له مصدرا يطمئن إليه

---

(١) انظر: البداية والنهاية:٨/ ٣٤٦.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر:٢/ ٦١٦.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٥٦/ ٥٢.



الضمير، فهذا الشيء لم يرو عن صحابي ولا صحابية، وإنما هو قول قاله بعض المتأخرين سهواً أو عمداً، فطار وانتشر في الآفاق.

والذي ساعده على الانتشار تلك الدعاية الكاذبة عن أم المؤمنين السيدة عائشة، أنها كانت جارية صغيرة حديثة السنّ حينما كانت الهجرة إلى المدينة، وحينما رُزقت السيدة أسماء عبد الله بن الزبير! وحينما عاد النبي ﷺ من غزوة تبوك! وحينما ذهب النبي عليه السلام بأزواجه وأصحابه لحجة الوداع! فالأيام والأعوام كانت تمرّ مرّ السحاب، وأم المؤمنين كانت واقفة على حداثة سنها مثل الجبال الراسيات !!

وهناك قرائن ساطعة تدل على أن الأمر كان على العكس، حيث كانت السيدة عائشة هي الكبرى، وكانت أسنّ من أختها السيدة أسماء.

القرينة الأولى

إن السيدة أسماء حين ولدت ابنها عبد الله بن الزبير بعد هجرتها إلى المدينة، وهو ابنها الأول، فاض قلب أم المؤمنين السيدة عائشة لذلك المولود حبا وحنانا، فكانت تعطف عليه، وترفّ له رفيفا، وتهتش به اهتشاشا، وتضمّه إلى صدرها، وتقبّله، وتقول له:(ابني! ابني!)

ولم يكن هذا الحب والحنان المتزايد ليخفى على أهلها، ويخفى على زوجها الرسول عليه السلام.فالرسول عليه الصلاة والسلام كان على علم بأن السيدة عائشة تهتزّ لرؤية ابن أختها اهتزازا، وتقرّ به عينا، وتتحنن عليه، وتدعوه: ابني! ابني!

ولانعلم تأويلا لهذا الحب المتزايد غير أنها قد سبق لها أن قضت أعواما من حياتها مع النبي عليه السلام، وذلك قبل ميلاد ابن أختها، ولكن ما قدّر الله لها أن تُرزق ذرية مع طول العشرة مع بعلها، وهي كانت تحمل في نفسها لوعة الحنين إلى الذرية،

شأن كل امرأة ذات بعل، إذا طال عليها الأمد ولم تُرزق ذريّة!

فلما رزق الله أختها الصغرى السيدة أسماء ولدا سُمّيَ عبد الله، فكأنها وجدت في ابن أختها برد فؤادها وقرة عينيها، وأفرغت عليه حبها وحنانها، وقالت للنبي عليه السلام حين سنحت لها الفرصة: يارسول الله! كل النساء قد اكتنين، فاكنني، قال: فاكتني بابنك عبد الله. فذلك ما رواه الشيباني:

حَدَّثَنَا المُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ حَمْزَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله ﷺ، كُلُّ النِّسَاءِ قَدِ اكْتَنَيْنَ فَاكْنِنِي قَالَ: فَاكْتَنِي بِابْنِكِ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ.[1]

المراد بكل النساء

وكانت تقصد عائشة بقولها:(كل النساء قد اكتنين) أن أترابها وصديقاتها كلهن يُنادَين بالكنى، وكانت الكنى تعتبر عند العرب، ومازالت تعتبر إلى اليوم، عنوان التكريم والتوقير، قال قائلهم:

أكنيه حين أناديه لأكرمه ولا ألقبه والسوءة اللقبا

كذاك أدّبت حتى صار من خلقي إني وجدت ملاك الشيمة الأدبا

فلتكن لأم المؤمنين أيضا كنية توحي بمعاني التكريم والتوقير، إذا كانت في أترابها وصديقاتها.

وورد في بعض الروايات: (قالت يارسول الله كل صواحبي لهن كنى) فقد روى أبوداود:

(١) أبوبكر الشيباني-الآحاد والمثاني- من ذكر أزواج النبي ﷺ: ٣٠٠٥.



حدثنا مسدد وسليمان بن حرب ـ المعنى ـ قالا حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يا رسول الله كل صواحبى لهن كنى. قال «فاكتنى بابنك عبد الله». يعنى ابن أختها. قال مسدد: عبد الله بن الزبير قال فكانت تكنى بأم عبد الله.

قال أبو داود: وهكذا قال قران بن تمام ومعمر جميعا عن هشام نحوه، ورواه أبو أسامة عن هشام عن عباد بن حمزة، وكذلك حماد بن سلمة ومسلمة بن قعنب عن هشام، كما قال أبو أسامة.[١]

فالمراد (بصواحبي) أيضا أترابها وصديقاتها، دون نساء النبي عليه الصلاة والسلام، فإنه لم يكن في ذلك الوقت مع النبي عليه السلام غير أم المؤمنين عائشة، وغير أم المؤمنين سودة، وأما سائر نساء النبي عليه السلام فهن لحقن بهما بعد ذلك في فترات مختلفة.

تصحيف من الراوي

وأما ماجاء في بعض الروايات: (كل نسائك لهن كنى غيري)، حيث روى أبويعلى، قال:

حدثنا أبو الربيع، حدثنا حماد، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله، كل نسائك لهن كنى غيري، قال: فاكتني بابنك عبد الله بن الزبير، فكانت تكنى أم عبد الله.[٢]

فهذا تصحيف من الراوي، والصحيح ماورد في رواية أبي بكر الشيباني: (كل

(١) سنن أبي داود-باب في المرأة تكنى:٧/ ٣٢٧.

(٢) مسند أبي يعلى: ٤٥٠٠.



النساء قد اكتنين) والراوي جعل (كل النساء) (كل نسائك)، وبزيادة كاف الخطاب تغير المعنى، وتغير الجوّ.

وماذا كانت تقصد أم المؤمنين السيدة عائشة حينما طلبت من رسول الله التكنية؟

نظن أنه كان استئذانا في الاكتناء بعبدالله بن الزبير، فاستجاب لها رسول الله لما كان يعرف من حبها لعبد الله، فكانت تدعى «أم عبد الله» إلى آخر حياتها.

واكتناء أم المؤمنين السيدة عائشة بعبد الله بن الزبير إن دل على شيء فإنما يدل على أنها كانت أسنّ من أختها السيدة أسماء، وأنها قدعمرت بيت زوجها الرسول قبل أن تعمر أختها السيدة أسماء بيت زوجها الزبير بن العوام.

القرينة الثانية

لوكانت أم المؤمنين صغيرة حديثة السنّ، في وقت ميلاد عبد الله بن الزبير، وكانت لم تزفّ بعدُ إلى زوجها الرسول عليه السلام، كما هو المشهور في الآفاق، لوكان الأمر هكذا، لم تكتن أم المؤمنين أبدا بعبدالله بن الزبير، وإنما اكتنت بأصغر إخوانه، وتركت عبد الله حتى تكتني به أمه السيدة أسماء. وكانت أمه أسماء أحق به من خالته عائشة، إن كانت خالته صغيرة حديثة السنّ لم تزفّ بعدُ إلى زوجها!

ولا يجمل الاكتناء بولد إلا إذا كان بينه وبين المكتني به من الفرق في السنّ ما يكون بين الوالد وولده، أوبين الأم وولدها.وأما إذا كان الفرق بين المكتنِي والمكتنَي به سنوات معدودات، فلن يحلو للمكتني أن يكتني به.

القرينة الثالثة

من الجدير بالذكر أن أم المؤمنين السيدة عائشة كلما ذكرت أختها السيدة أسماء، لم تذكرها بما يشير إلى كبرها في السنّ، وإنما تقول عنها دائما: «أختي أسماء»، فلنستمع إليها، وهي تحكي سفرها إلى المدينة:

(عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت متى بنى بك رسول الله؟ فقالت: لما هاجر رسول الله إلى المدينة خلف وخلف بناته فلما قدم المدينة بعث إلينا زيد بن حارثة وبعث معه أبا رافع مولاه وأعطاهم بعيرين وخمس مائة درهم أخذها رسول الله ﷺ في المدينة من أبي بكر يشتريان بها ما يحتاجان إليه من الظهر وبعث أبو بكر رضي الله عنه معهما عبد الله بن أريقط الديلي ببعيرين أو ثلاثة وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر يأمره أن يحمل أهله أم رومان وأنا وأختي أسماء امرأة الزبير.[١]

ولنستمع إليها كذلك، وهي تحكي وصية أبيها في الميراث:

أخرج مالك عن عائشة رضي الله عنها: أن أبا بكر نحلها جداد عشرين وسقا من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة قال: يا بنية، والله ما من الناس أحد أحب إليّ غنى منك، ولا أعز علي فقرًا بعدي منك، وإن كنت نحلتك جداد عشرين وسقا، فلو كنت جددته واحترزته كان لك، وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هو أخواك وأختاك فاقسموه على كتاب الله، فقالت: يا أبت! والله لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماء، فمن الأخرى؟ قال: ذو بطن ابنة خارجة، أراها جارية، وأخرجه ابن سعد، وقال في آخره: ذات بطن ابنة خارجة، وقد ألقى في روعي أنها جارية، فاستوصى بها خيرًا، فولدت أم كلثوم.[٢]

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ٤/ ٥/ ٦٧١٦ -دارالكتب العلمية-بيروت-طبعة أولى.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ: ٨٠٨، وابن سعد في الطبقات: "١٧٨، ١٧٩/ ٢".



فالسيدة عائشة تذكر أختها أسماء دائما بهذا الأسلوب، من غير تنويه بكبر سنّها، وما أوقع الناس في وَهَم كون السيدة أسماء هي الأخت الكبرى إلا ما تعوّده الرواة من التنويه بصغر أم المؤمنين السيدة عائشة وحداثة سنها، كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا.

أنا أبوك وعائشة أمك!

و مما يدل على كون أم المؤمنين السيدة عائشة بالغة ناضجة قديمة العهد بالزفاف في وقت هجرة النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، مارواه الإمام البيهقي، قال:

أخبرنا أبو بكر الفارسي، أنا أبو إسحاق الأصبهاني، ثنا أبو أحمد بن فارس، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثني عبد الله بن عطاء، ثنا حجر بن الحارث الغساني، قال: سمعت عبد الله بن عوف القارئ، قال: سمعت ابن بشر بن غزية، يقول: استشهد أبي مع النبي ﷺ في بعض غزواته، فمر بي النبي ﷺ وأنا أبكي فقال لي: «اسكت، أما ترضى أن أكون أنا أبوك، وعائشة أمك؟» قلت: بلى، بأبي أنت وأمي يا رسول الله.[1]

كلام الذهبي غير وجيه

فالناظر في هذه الرواية لن يوافق الإمام الذهبي فيما قال عن موعد زفاف أم المؤمنين، وعن سنّها في وقت زفافها، حيث قال:

«هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرا، وقيل: بعامين.

ودخل بها في شوال سنة اثنتين، منصرفه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من غزوة بدر،

(١) شعب الإيمان للبيهقي- باب في رحم الصغيروتوقيرالكبير:١٣/ ٣٩٦/ ١٠٥٣٣.



وهي ابنة تسع».[١]

فإن كانت أم المؤمنين ابنة تسع بعد غزوة بدر، كانت ابنة عشر بعد غزوة أحد لا محالة. والذي كان يبكي لفقد أبيه، كان يبكي بعد غزوة أحد، حيث استشهد أبوه في غزوة أحد، كما روى أبونعيم، قال:

حدثنا، قال: ثنا أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، ثنا موسى بن سهل الرملي، ثنا الحسن بن بشر الرملي، حدثني عقبة بن عبد الله بن بشير بن عقربة، عن أبيه، عن جده عبد الله بن بشير، قال: سمعت أبي، يقول: قتل أبي أبوعقربة يوم أحد، فأتيت النبي ﷺ أبكي، فقال: «ما اسمك؟» قلت: عقربة، قال: «أنت بشير، أما ترضى أن أكون أباك، وعائشة أمك؟»، فسكت.[٢]

والذي كان يبكي أباه الشهيد في غزوة أحد، قد يكون ابن عشر سنين فأكثر، فهل من المعقول أن تكون أم المؤمنين أم ولد يكون في مثل سنّها، أويزيد؟

لماذا اختيار عائشة دون سودة؟

وإن كانت أم المؤمنين عائشة ابنة عشر في غزوة أحد، كانت أم المؤمنين سودة بنت زمعة ذات سنّ عند الجميع، فلماذا عدل عنها النبي عليه السلام إلى أم المؤمنين عائشة، وهي حديثة السنّ؟

وهنا يجد الباحث نفسه مضطرا إلى القول بأنه لم يكن هناك فرق يعتدّ به بين أم المؤمنين سودة، وبين أم المؤمنين عائشة في السنّ؛ فإنه لوكان هناك فرق يعتدّ به بين سنّ السيدتين، لكانت أم المؤمنين سودة أولى بأن تكون أمّا لذلك الولد السعيد بشهادة أبيه

(١) سيرأعلام النبلاء-عائشة بنت الصديق:٣/ ١١٤/ ١٩.

(٢) معرفةالصحابة-أبونعيم الأصبهاني-من اسمه عطية: ٥٥٩٥.



في سبيل الله.

وأما إذا رأى النبي عليه السلام أن يلقي تلك المسئولية على أم المؤمنين عائشة مع وجود أم المؤمنين السيدة سودة في حريمه، فهذا يدل على أن السيدة عائشة كانت أهلا لهذه المسئولية من كل ناحية، حتى من ناحية السنّ، فليست سنّها مايذكره أصحاب السير، وإنما سنّها ماتنطق به القرائن، وتنطق به الأحداث!

ظلموا هذه! وظلموا تلك!

ولقد ظلم أم المؤمنين سودة من زاد في سنها حتى جعلها كبيرالسن في حياة رسول الله، وحتى قال:

«لما أسنت همّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطلاقها، فوهبت يومها لعائشة»[(١)]

وقال: «وأسنّت عند رسول الله ﷺ، فهمّ بطلاقها، فقالت له: لا تطلقنى، وأنت فى حل من شأنى، فإنما أريد أن أعتبر فى أزواجك، وإنى قد وهبت يومى لعائشة، وإنى لا أريد ما تريد النساء، فأمسكها رسول الله ﷺ حتى توفى عنها مع سائر من توفى عنهن من أزواجه».[(٢)]

وكذلك ظلم أم المؤمنين عائشة من نقص من سنّها حتى جعلها في وقت نكاحها وزفافها جارية صغيرة تلعب بالبنات!

فكل ما قيل في هذه وتلك، لايستند إلى دليل، ولايأوي إلى ركن شديد، ولابد أن يعاد فيه النظر!

(١) ابن حجر–تهذيب التهذيب–حرف السين:١٢/ ٤٢٧.

(٢) تهذيب الكمال للمزي: ٣٥/ ٢٠١.



فأما السيدة عائشة أم المؤمنين فالقرائن والأدلةكلها متضافرة على أنها لم تكن جارية صغيرة حديثة السنّ حين عُقد عليها النكاح في مكة بعد وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة، وإنما كانت فتاة شابة عاقلة كأحسن ما تكون الفتيات.

ولقد سبق أن ذكرنا جملة من تلك القرائن والأدلة، وسيتلوها مابقي منها.

سنّ السيدة سودة

وأما السيدة سودة، فليس هناك أي اختلاف بين أهل السير في أن أم المؤمنين السيدة سودة عاشت بعد النبي ﷺ دهرا طويلا، مثلما عاشت أم المؤمنين السيدة عائشة بعد النبي عليه الصلاة والسلام دهرا طويلا.

عاشت أم المؤمنين السيدة سودة بعد النبي عليه السلام أكثر من أربعين عاما، حيث ماتت سنة ٥٤هـ أوسنة ٥٥ هـ. وعاشت أم المؤمنين السيدة عائشة بعد النبي ﷺ زهاء خمس وأربعين عاما، حيث ماتت سنة ٥٧هـ أو سنة ٥٨هـ. ذلك ما يقوله عامة أهل السير.

ولايبعد أن يكون الفرق في سنهما، بقدر ما كان الفرق في زمن وفاتهما.

ويرى ابن حبان ـ في رواية ابن حجر ـ أن أم المؤمنين سودة عاشت بعد النبي عليه السلام أكثر مما عاشت أم المؤمنين عائشة،حيث ماتت أم المؤمنين سودة سنة خمس وستين، أي ماتت بعد أم المؤمنين عائشة بثماني سنين ![(١)]

سواءكان الأمر كما ذكره عامة أهل السير، أوكان كما روي ابن حبان، فعلى كلا الوجهين لا يصح الحكم على السيدة سودة بأنها كانت كبيرة السن في حياة رسول الله.

---

(١) ابن حجر–تهذيب التهذيب–حرف السين:١٢/ ٤٢٧.



حكايات لا أصل لها!

فمن أين يقال إن أم المؤمنين السيدة سودة كانت مسنّة في عهد النبي ﷺ؟ وإن النبي عليه السلام همّ بطلاقها لكبر سنّها؟ وإن السيدة سودة دفعت عن نفسها تلك المحنة القاسية بتنازلها عن يومها للسيدة عائشة! وإن النبي عليه السلام كان يقسم للسيدة عائشة يومها، ويوما آخر وهبت لها السيدة سودة!

هل يجوز لشخص، فضلا عن النبي الكريم الرحيم عليه السلام، أن يطلق زوجته الصالحة الفاضلة لالسبب غير كبر السنّ؟ وهل فعل ذلك أحد من أصحابه عليه السلام مع زوجته الكبيرة السنّ؟

وإذا لم يفعل ذلك أحد، وما أحب أن يفعله، ولا يجوز له أن يفعله، فكيف ننسب إلى نبينا عليه السلام مالا يليق بأيّ عاقل؟ وكيف نقبل عن نبينا عليه السلام كل ما يُروى، حتى ولوكان يمس كرامته، ويشوّه صورته؟

أليس فيه تشويه لصورة نبينا عليه الصلاة والسلام، وهي أوضأ من الشمس، وأسنى من القمر؟

أليس فيه إساءة شديدة مخجلة إلى خلقه العظيم، وإلى كرامته الشامخة، وإلى سيرته العطرة الباذخة؟

قصة خديجة شبيه بقصة سودة!

وإن زادوا في سنّ أم المؤمنين السيدة سودة، حتى جعلوها مسنّة، فقد زادوا قبلها في سنّ أم المؤمنين خديجة، حيث قالوا: إنها كانت أسنّ من رسول الله بخمس عشرة سنة! قال ابن سعد:

أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي قال: وتوفيت خديجة بعده بشهر وخمسة أيام وهي يومئذ بنت خمس وستين سنة، فاجتمعت على رسول الله ﷺ مصيبتان: موت خديجة بنت خويلد، وموت أبي طالب عمه.(١)

وقال: أخبرنا محمد بن عمر، أخبرنا مغيرة بن عبد الرحمن الأسدي، عن أهله، قالوا: سألنا حكيم بن حزام أيهما كان أسنّ؟ رسول الله ﷺ أو خديجة؟ فقال: كانت خديجة أسنّ منه بخمس عشرة سنة، لقد حرمت على عمتي الصلاة قبل أن يولد رسول الله.(٢)

وقال ابن كثير:

قال البيهقي عن الحاكم: وبلغت خديجة خمسا وستين سنة، ويقال خمسين. وهو أصح.(٣)

وقال: نقل البيهقي عن الحاكم أنه كان عمر رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة خمسا وعشرين سنة، وكان عمرها إذ ذاك خمسا وثلاثين ـ وقيل خمسا وعشرين سنة ـ .(٤)

وقال الحاكم النيسابوري: أخبرني أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أحمد بن محمد بن أيوب ثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق: أن أبا طالب وخديجة بنت خويلد هلكا في عام واحد وذلك قبل مهاجر النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين، ودفنت خديجة بالحجون ونزل في قبرها رسول الله ﷺ

(١) الطبقات الكبرى:١/ ١٢٥.

(٢) الطبقات الكبرى:٨/ ١٥.

(٣) البدايةوالنهاية–تزويجه عليه الصلاةوالسلام خديجة بنت خويلد: ٢/ ٢٩٤.

(٤) البداية والنهاية– تزويجه عليه الصلاةوالسلام خديجةبنت خويلد: ٢/ ٢٩٥.

وكان لها يوم تزوجها ثمان وعشرون سنة.(١)

قال الدكتورأكرم ضياء العمري: «قد أنجبت خديجة من رسول الله ذكرين وأربع إناث مما يرجح رواية ابن إسحاق، فالغالب أن المرأة تبلغ سن اليأس من الإنجاب قبل الخمسين».(٢)

وكان الدكتور أكرم موفقا في رؤيته، حيث رجّح رواية ابن إسحاق في سن السيدة خديجة في وقت نكاحها، بل لا بأس إذا رجحنا القول الذي ذكره ابن كثير في سنّها، من أنها كانت ابنة خمس وعشرين سنة، كما كان النبي ﷺ ابن خمس وعشرين سنة، وذلك أحسن ما قيل في الموضوع، وكان ذلك من توفيق أقدار لأقدار! وهو ترجيح الإمام ابن كثير، حيث قال:

«وبلغت خديجة خمسا وستين سنة، ويقال خمسين. وهو أصح».(٣)

فبلغت أم المؤمنين خديجة خمسين سنة، وزُوجت النبي عليه السلام وهي ابنة خمس وعشرين سنة، وعاشت مع النبي عليه الصلاة والسلام خمسا وعشرين سنة.

إسلام السيدتين: عائشة وأسماء

وهناك موضوع مهم له صلة وثيقة بموضوعنا الذي ندندن حوله، وهو أن السيدتين: عائشة وأسماء متى دخلتا في الإسلام؟ وهل حفظ لنا التاريخ ترتيب السابقين الأولين في دخولهم في دين الإسلام؟

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ٣/ ٢٠٠/ ٤٨٣٧.

(٢) أكرم ضياء العمري–السيرةالنبوية الصحيحة:١/ ١١٣.

(٣) البداية والنهاية–تزويجه عليه السلام خديجة بنت خويلد:٢/ ٢٩٤.



إذا رجعنا إلى كتب السيرة وجدنا فيها مايقرّ العين ويشرح الصدر، ووجدنا فيها مايعطينا فكرة واضحة عن ترتيب السابقين الأولين إلى الإيمان.

رواية أولى

فقد روى يونس عن ابن اسحق قال:

(ثم انطلق أبو عبيدة بن الحارث، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وعبد الله بن الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون حتى أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، فأسلموا وشهدوا أنه على هدى ونور.

ثم أسلم ناس من قبائل العرب منهم: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أخو بني عدي بن كعب، وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، أخت عمر بن الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر وهي صغيرة، وقدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون الجمحيان، وخباب بن الأرت حليف بني زهرة، وعمير بن أبي وقاص الزهري ٥٣ وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة، ومسعود بن القاري وسليط بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي، وعياش بن أبي ربيعة المخزومي وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخرمة التميمي، وخنيس ابن حذافة السهمي، وعامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب، وعبد الله بن جحيش الأسدي، وأبو أحمد بن جحش، وجعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عميس، وحاطب بن الحارث الجمحي وامرأته أسماء بنت يسار، ومعمر بن الحارث بن معمر الجمحي، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطالب بن أزهر بن عبد عوف الزهري وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صبير بن سعد بن سهم، والنحاس واسمه نعيم بن أسد أخو بني عدي بن كعب، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، وخالد بن سعيد بن العاصي وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة من خزاعة، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس أخو بني عامر بم لؤي، وأبو

حذيفة بن عقبة بن ربيعة، وواقد بن فائد بن عبد الله بن عزيز بن ثعلبة التميمي حليف بني عدي بن كعب، وخالد بن البكير، وعامر بن البكير، وعاقل بن البكير، وإياس بن البكير بن عبد الله بن ناشب من بني سعد بن ليث، حلفاء بني عدي بن كعب، وعمار بن ياسر حليف بني مخزوم، وصهيب بن سنان حليف نبي تميم.

ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من النساء والرجال حتى فشا ذكر الإسلام وتحدث به.[1]

تفيد هذه الرواية أن السيدة أسماء بنت أبي بكر، والسيدة عائشة بنت أبي بكر كان لهما سبق وتقدم في اعتناق الإسلام، فقد كانت أولاهما سابعة سبعة، وأخراهما ثامنة ثمانية في اعتناق الإسلام.

رواية أخرى

وقال ابن كثير: «ذكر أبو نعيم في دلائل النبوة إسلام من أسلم من الاعيان فصلا طويلا، واستقصى ذلك استقصاء حسنا، رحمه الله وأثابه.

وقد سرد ابن اسحاق أسماء من أسلم قديما من الصحابة رضى الله عنهم.

قال: ثم أسلم أبو عبيدة، وأبو سلمة، والارقم بن أبى الارقم، وعثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد، وامرأته فاطمة بنت الخطاب. وأسماء بنت أبى بكر، وعائشة بنت أبى بكر، وهي صغيرة.

وقدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون. وخباب بن الارت، وعمير بن أبى وقاص، وعبد الله بن مسعود، ومسعود بن القارى، وسليط بن عمرو وعياش بن أبى ربيعة، وامرأته

(١) السيرة النبوية لابن اسحاق: ١٤٤.



أسماء بنت سلمة بن مخربة التميمية، وخنيس بن حذاقة، وعامر بن ربيعة. وعبد الله بن جحش، وأبو أحمد بن جحش، وجعفر بن أبى طالب، وامرأته أسماء بنت عميس. وحاطب بن الحارث وامرأته فاطمة بنت المجلل. وحطاب بن الحارث وامرأته فكيها ابنة يسار. ومعمر بن الحارث بن معمر الجمحى، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهر بن عبد مناف، وامرأته رملة بنت أبى عوف بن صبيرة بن سعيد بن سهم. والنحام، واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر، وخالد بن سعيد، وأمينة ابنة خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة من خزاعة، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وواقد بن عبد الله بن عرين بن ثعلبة التميمي حليف بنى عدى. وخالد بن البكير، وعامر بن البكير، وعاقل بن البكير، وإياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بنى سعد بن ليث. وكان اسم عاقل غافلا فسماه رسول الله ﷺ عاقلا، وهم حلفاء بنى عدى بن كعب. وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان.

ثم دخل الناس في الاسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الاسلام بمكة وتحدث به.[1]

تفيد هذه الرواية، التي رواها ابن كثير أن السيدة أسماء كانت ثامنة ثمانية، وأم المؤمنين السيدة عائشة كانت تاسعة تسعة في اعتناق الإسلام.

رواية ثالثة

وروى ابن عبدالبر، قال: قال ابن إسحاق: كان أَوَّلَ ذَكَرٍ ممن آمن بالله وصدق رسول الله فيما جاء به من عند الله عَلِيُّ بْن أبي طالب بْن عَبْد المطلب بْن هاشم بْن عَبْد مناف، وهو ابن عشر سنين يومئذ، قَالَ أي ابن إسحاق: ثم أسلم زيد بْن حارثة بْن

(١) السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٤٥٣-٤٥٤.



شرحبيل بْن كعب الكلبي، قُلْتُ: وقيل: شراحيل، قاله ابن هشام مولى رسول الله ﷺ، قَالَ: ثم أسلم أَبُو بكر بْن أبي قحافة، واسم أبي قحافة: عثمان بْن عامر بْن عمرو بْن كعب بْن سعد بْن تيم بْن مرة، قَالَ أَبُو عمر: ثم أسلم خالد بْن سعيد بْن العاصي، وأسلمت معه امرأته أمينة بنت خلف بْن أسعد الخزاعية، وبلال، وعمار بْن ياسر، وأمه سمية، وصهيب بْن سنان النمري المعروف بالرومي، وعمرو بْن عبسة السلمي ورجع إلى بلاد قومه،وعمرو بْن سعيد بْن العاصي.

ثم أسلم بدعاء أبي بكر الصديق: عثمان بْن عفان، والزبير بْن العوام، وسعد بْن أبي وقاص، وطلحة بْن عبيد الله، وعبد الرحمن بْن عوف، ثم أسلم أَبُو عبيدة ابن الجراح، وأبو سلمة بْن عَبْد الأسد، وعثمان بْن مظعون،

ثم أخواه: قدامة، وعبد الله وابنه السائب بْن عثمان بْن مظعون، وسعيد بْن زيد بْن عمرو بْن نفيل، وأسماء بنت أبي بكر الصديق، وعائشة بنت أبي بكر الصديق وهي صغيرة، وفاطمة بنت الخطاب أخت عمر بْن الخطاب زوج سعيد بْن زيد، وعمير بْن أبي وقاص، وعبد الله بْن مسعود، وأخوه عتبة بْن مسعود، وسليط بْن عمرو العامري، وعياش بْن أبي ربيعة المخزومي، وامرأته أسماء بنت سلامة بْن مخربة التميمية، ومسعود بْن ربيعة بْن عمرو القاري من بني الهون بْن خزيمة وهم القارة، وخنيس بْن حذافة بْن قيس بْن عدي السهمي، وعبد الله بْن جحش الأسدي.[1]

تفيد هذه الرواية أن السيدة أسماء كانت في الترتيب الثالث والعشرين، وكانت أم المؤمنين عائشة في الترتيب الرابع والعشرين.

وقال المزي: وزعم ابن إسحاق أن أسماء بنت أبي بكر أسلمت بعد إسلام سبعة

(١) ابن عبدالبرّ–الدرر في اختصار المغازي والسير:٣٨-٣٩.



عشر إنسانا.[١]

تلك روايات تذكر أسماء السابقين الأولين إلى الإسلام، وهي كلها، على ما فيها من فرق واختلاف، تفيدنا أن الأختين السيدتين: عائشة وأسماء أسلمتا في وقت مبكر من ظهور الإسلام، بل كانتا في طليعة السابقين الأولين إلى الإسلام.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنهما كانتا من مواليد العصر الجاهلي، وأنهما كانتا عاقلتين مميزتين حينما طلع هلال الإسلام، وأنهما اعتنقتا دين الإسلام عن وعي وفهم، وبصيرة مبصرة، كما اعتنقه غيرهما من صفوة الرجال والنساء.

وأما ماورد في كل هذه الروايات عن أم المؤمنين السيدة عائشة أنها (كانت صغيرة!) في وقت دخولها في دين الإسلام، فهو إلحاق وزيادة من الراوي ليس إلاّ، فإن إسلام الطفلة الصغيرة، أو الجارية الصغيرة، التي ولدت في بيت مسلم، وتنشأ في حجر مسلم، ليس شيئا يذكر، وإن ذُكر فلايذكر مع إسلام الكبار المرموقين.

وكانت هناك بنات وحفيدات صغيرات عند الآخرين من أصحاب رسول الله، ولكن التاريخ لايذكرهن، وإنما يذكر العاقلات الناضجات، وماذكر التاريخ السيدة عائشة، والسيدة أسماء إلا لأنهما من العاقلات الناضجات.



(١) تهذيب الكمال:٣٥/ ١٢٤.

الخاتمة

ذلك ما أردنا أن نبينه، ونبلوره في هذا الكتاب، وهو أن السيدة عائشة ماطلعت عليها شمس الإسلام إلا وهي فتاة عاقلة، وكانت من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهي ما أسلمت تقليدا لأبويها، وإنما أسلمت، عن وعي وفهم وبصيرة، وأسلمت عن قناعة ذاتية واعية.

وهي التي شغلت مكان السيدة خديجة بعد وفاتها في مكة المكرمة، وعمرت بيت رسول الله قبل الهجرة إلى المدينة بسنين، وهي كانت حين أنكحت امرأة جزلة، ناضجة، مكتملة الشباب، ثم لحقت بها السيدة سودة، وكانت في مثل سنّها.

وأما قصة صغرها وحداثة سنها، فهي من الحكايات القديمة، من حكايات العصر الجاهلي. نعم، هي كانت صغيرة حديثة السنّ قبل مولد الإسلام! أما بعد ما طلع فجر النبوة، وظهر الإسلام، فلا. فماعهدناها في الإسلام إلا عاقلة مدركة.

وكان من مشيئة الله الحكيمة أن تصادف السيدة عائشة ظهور الإسلام، وهي فتاة عاقلة ذات فطنة وذكاء، حتى تكون راوية أمينة دقيقة لأحداث العهد المكي، فهي التي رأت وسمعت، ووعت، ثم روت تاريخ الإسلام في العهد المكي: كيف بدأ الوحي؟ وكيف كان أول لقاء سيدنا محمد عليه السلام مع سيدنا جبريل عليه السلام؟ وماذا كان الوحي؟ وكيف كان رجوعه إلى البيت؟ وماذا دار بينه وبين السيدة خديجة؟ ثم ماذا دار بينه وبين ورقة بن نوفل؟ وكيف كانت فرضية الصلاة؟ وهل فرضت الصلوات كلها مرة واحدة؟ أم كان فيها تدرج؟ وكيف كانت الهجرة إلى الحبشة؟ وما هي الأحداث التي حدثت حتى لجأ المسلمون إلى الهجرة؟ وكيف كان الإسراء والمعراج؟ ومتى كان؟ ثم كيف كانت الهجرة إلى المدينة؟ وماهي الأحداث التي حدثت في أثناء السفر إلى

المدينة؟ وأمور أخرى كثيرة لم يروها لنا غير السيدة عائشة.وإن روى أحد شيئا من ذلك، لم يروه إلا إرسالا، ولم يروه إلا إجمالا.

فهل كانت السيدة عائشة جارية صغيرة حديثة السن، إذ روت تلك الأحداث المهمة كلها بدقة وعناية؟

كلا! فتلك الشواهد بأسرها تشهد بأنها منذ فجر النبوة كانت فتاة عاقلة ذات فطنة وذكاء! وهناك شواهد أخرى كثيرة فصلناها في فصول الكتاب.

والآن بعد هذا الإيضاح والبيان لم يبق مجال للإصرار على صحة ماروي عن السيدة عائشة أم المؤمنين أنها قالت:

«تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن خزرج، فوعكت فتمرق شعري فوفى جميمة فأتتني أمي أم رومان، وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي! فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن على الخير والبركة! وعلى خير طائر! فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى! فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين».[1]

فالكلام كله غريب جدّ غريب! وليس شيء منه كالمعتاد، وكله منقوض بما أسلفنا من الحجج القوية، والبراهين الساطعة من سيرة السيدة عائشة، وأحوالها، وأعمالها، وإنجازاتها، وكونها من السابقين الأولين إلى الإسلام، وشهودها غزوة بدر وما بعدها من غزوات، وكونها الزوجة الثانية الأولى بعد السيدة خديجة، وما إلى ذلك من أمور كثيرة فصلناها في مواضعها.

(١) صحيح البخاري–باب تزويج النبي عائشة وقدومها المدينة وبناؤه بها.



ولقد حاول بعض أهل العلم أن يلتمس لتلك الرواية وأشباهها محملا لايتعارض مع تلك الأدلة والقرائن، التي قدمناها، والتي لايمكن الإغماض عنها، فقال:

يمكن أن يكون المراد بالستّ في حديث عائشة: ست وعشرون. والمراد بالتسع: تسع وعشرون. وهذا أسلوب شائع معروف في كلام العرب، حيث يذكرون أحيانا الكسور، ويحذفون العقود، إذا كان هذا المحذوف مفهوما بدليل الحال، وقرينة السياق.

وعلى هذا الأسلوب جاء حديث ليلة القدر، فقد روى الإمام البخاري عن سيدنا أنس قال:

أخبرني عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ خرج يخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال إني خرجت لأخبركم بليلة القدر وإنه تلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيرا لكم، التمسوها في السبع، والتسع، والخمس.(١)

فالمراد بالسبع في هذا الحديث: سبع وعشرون، والمراد بالتسع تسع وعشرون، والمراد بالخمس خمس وعشرون. فإن مظنة ليلة القدر، كما ورد في أحاديث أخرى صحيحة، هي العشر الأواخر، دون العشر الأوائل.

فمن المحتمل أن يكون حديث زواج السيدة عائشة أيضا قد جاء على هذا الأسلوب.

هذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم للتوفيق بين الأمرين، وهو كلام حسن، وتأويل مقبول من ناحية اللغة وأساليبها، وكان الأمر سهلا ميسّرا، لو كانت المشكلة مقصورة على لفظ ستّ وتسع، ولكن المشكلة أكبر من ذلك!

فالمشكلة الكبرى هي مشكلة الجوّ العام الذي يحيط بمثل تلك الأحاديث. فتلك الأحاديث كلها توحي بلفظها وجوّها أن السيدة عائشة كانت في وقت نكاحها جارية

(١) صحيح البخاري–باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لايشعر.



حديثة السنّ! وكانت في غزوة المريسيع أيضا جارية حديثة السنّ! وكانت تلك الغزوة بعد غزوة الأحزاب، وفيها حدث حادث الإفك! وكانت في حجة الوداع أيضا جارية حديثة السنّ! ولقد تقدم تفصيل هذه الأمور في موضعها.

فهي ثبتت واستمرّت على صغرها وحداثة سنّها حتى فارقها النبي عليه الصلاة والسلام، ولحق بالرفيق الأعلى! وهي لم تكبر إلا بعد وفاته عليه السلام!

فإن قلنا في حديث الزواج والبناء: إن المراد بالستّ ست وعشرون سنة، وبالتسع تسع وعشرون سنة، فهذا لايقدم شيئا ولايؤخر، ويبقى الأمر كما هو. والجو العام للأحاديث لايقبل هذا التأويل.

ثم إن قلنا إن المراد بالست ست وعشرون سنة، فهنا يثور سؤال: إذا كان نكاح السيدة عائشة، وهي ابنة ست وعشرين سنة، فلماذا أجّلت لثلاث سنين قادمة، حتى صارت ابنة تسع وعشرين سنة؟ وماذا كان ينقصها حين كانت ابنة ست وعشرين سنة؟

فالأمر لايخلو من إشكال! وهذا الإشكال لايزول إلا إذا انصرفنا عن تلك الروايات كلها، وقلنا إنما هو تدبير وتبييت من أعداء الإسلام!

والمقصود من كل ذلك هو إثارة الغبار حول شخصية نبينا عليه الصلاة والسلام!

فكما أنهم لم يتركوا أنبيائهم إلا وأثاروا حولهم الغبار، وألصقوا بهم أشياء لاتليق بهم! وهم منها برآء، كذلك أرادوا أن يفعلوا بنبينا عليه الصلاة والسلام، وكادوا لأن يشوّهوا صورته الوضيئة المشرقة، ولكن الله سلّم نبينه، وبرّأه مما قالوا، وجعل كيدهم في تضليل! والحمد لله رب العلمين.

هذا، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأزواجه وأصحابه الغر الميامين.

ثبت المراجع

- الآحاد والمثاني لأبي بكر الشيباني، الناشر: دار الراية – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١١ – ١٩٩١م
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر تحقيق: علي محمد البجاوي-دار الجيل-بيروت إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، دار الوفاء، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع – دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م
- البداية والنهاية لابن كثير، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، دار الهداية
- تاريخ الأمم والملوك للإمام طبري، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة الثانية – ١٣٨٧هـ
- تهذيب الكمال للمزي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٠ – ١٩٨٠م
- تهذيب التهذيب، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى: ١٣٢٦هـ
- تقريب التهذيب لابن حجر، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٠٦ –

١٩٨٦م

- حول التاريخ- مقال منشور في الشبكة العالمية للمعلومات – الإنترنيت- د. عبدالله الطنطاوي
- الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبدالبرّ، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤٠٣ هـ
- رجال صحيح البخاري-أبونصرالبخاري الكلاباذي- دارالمعرفة- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ
- سنن ابن ماجة- دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
- سنن أبي داود- الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
- سنن الترمذي-الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م
- سنن النسائي الكبرى-دارالكتب العلمية-بيروت-طبعة أولى
- السنن الكبرى للبيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري
- السيرة النبوية لابن اسحاق، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م
- السيرة النبوية لابن كثير – دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون لعلي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة- بيروت

- سير أعلام النبلاء للذهبي-مؤسسة الرسالة، الناشر، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م
- شرح النووي على مسلم-دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٢ هـ
- شعب الإيمان للبيهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
- صحيح البخاري- الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
- صحيح مسلم-الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
- صحيح ابن حبان، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م
- الصحاح للجوهري- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م
- الطبقات الكبرى لإبن سعد- المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م
- فتوح البلدان للبلاذري، الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت، عام النشر: ١٩٨٨ م
- القاموس المحيط للفيروزابادي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م
- قصص من التاريخ لعلي الطنطاوي: -دارالمنارة-طبعة أولى
- الكامل في التاريخ-الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م
- مجمع الزوائد للهيثمي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ،

١٩٩٤ م

- المستدرك على الصحيحين للحاكم-دارالكتب العلمية-بيروت-طبعةأولى
- مسند أبي يعلى، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٤ – ١٩٨٤
- مسند أحمد- الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة الثالثة - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م
- المعجم الكبير للطبراني، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الثانية
- معرفة الصحابة-أبونعيم الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- الموطأ للإمام مالك، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: المكتبة العلمية، الطبعة الثانية.





فهرس المحتويات

مقدّمة ٥
تاريخنا لم يُكتب بعدُ! ٩
سن أم المؤمنين في حين نكاحها؟ ١٠
المشهور المذكور في الأنام ١١
قالوا ما تخرّ له الجبال هدّا! ١٢
روايات تنقض الكلام المشهور ١٣
حديث السيدة خولة مع رسول الله ١٣
نكاح السيدة سودة مع رسول الله ١٤
ما ذُكرت عائشة إلا لتَخَلُّفَها في حينها ١٥
كانتا تِربين متقاربتين ١٦
السيدة عائشة هي البلسم الأول ١٧
دليل من صحيح البخاري ١٨
وهم في الرواية ١٨
لأمرٍ ما كان التنويه بسنّها في غير محلّه! ١٩
بيانات لاداعي لها! ٢٠
زواج عائشة بجبير بن مطعم ٢١
متى كان نكاح السيدة أسماء؟ ٢١

كانت حاملا مُتِمّا وقت الهجرة ٢٢
ماذا يقال عن جبير بن مطعم؟ ٢٤
سنّ جبير في وقت النكاح ٢٤
كالمستجير من الرمضاء بالنار! ٢٦
عود إلى حديث السيدة خولة ٢٦
البِكرُ في لسان العرب ٢٧
لا نكاح إلا بالنساء ٢٨
حديث السباق ٣٠
غزوة بني المصطلق ٣١
رواية حجة الوداع ٣٢
اضطراب في الأسانيد ٣٣
عقِلت عائشة حين أسلم أبواها ٣٤
معنى العقل في اللغة ٣٥
سنّ السيدة عائشة في ضوءالرواية ٣٦
زواج السيدة عائشة قبل زواج أختها أسماء ٣٧
ليت رجلا صالحا يحرسني! ٣٨
مايستفاد من الرواية ٣٩
الفائدة الأولى: ٣٩
الفائدة الثانية: ٣٩
الفائدة الثالثة: ٤٠

متى كانت تلك الظروف بالتحديد؟ ٤٠
كلام أهل السير فيه نظر ٤١
السيدة عائشة في عيادة المرضى ٤٢
عادت أباها بعدما استأذنت رسول الله ٤٣
متى كان الوعك؟ وأين كانت عائشة؟ ٤٥
السيدة عائشة في غزوة بدر ٤٦
حكاية دقيقة تجعل الحادث شاخصا ٤٧
كلام النووي لايخلو من تكلف ٤٧
تلك ميزة للسيّدة عائشة! ٤٨
قرينة أخرى واضحة ٤٩
ردّ من كان دون خمسة عشر ٥١
لاتخرج إلى المعارك إلا الخبيرة المدرّبة ٥٢
بلاء نسيبة بنت كعب! ٥٣
السيدة عائشة واللعب بالبنات! ٥٥
رواية صحيح البخاري ٥٦
روايات غير محفوظة ٥٧
ظلم وإساءة إلى أم المؤمنين! ٥٧
سؤال وإشكال ٥٩
يحيى بن أيوب الغافقي ٥٩
أم المؤمنين عائشة في غزوة أحد ٦٠

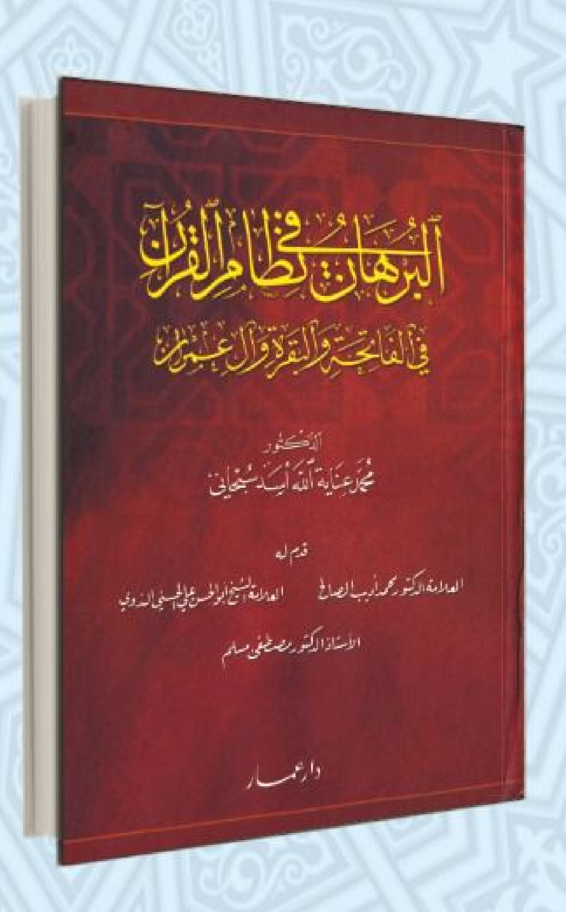


كوكبة من النساء في غزوة أحد ٦٢
كانت أم المؤمنين من المبرّزات! ٦٢
أم المؤمنين في غزوة الخندق ٦٣
أسامة بن زيد والسيدة عائشة ٦٥
عائشة في بيت النبي وأسامة طفل صغير! ٦٦
سنّ أسامة حين وفاة الرسول ٦٧
كيف يزول ذلك الفرق الكبير؟ ٦٨
القول الراجح في وفاة السيدة خديجة ٦٨
التبس الأمر على الزهري ٦٩
قصة أسامة تجلو الغمّة ٧٠
يونس بن بكير ٧١
هشام بن عروة ٧٢
ميلاد أم المؤمنين عائشة ٧٣
كانتا أختين للأب دون الأم ٧٤
القرينة الأولى ٧٥
المراد بكل النساء ٧٦
تصحيف من الراوي ٧٧
القرينة الثانية ٧٨
القرينة الثالثة ٧٩
أنا أبوك وعائشة أمك! ٨٠

كلام الذهبي غير وجيه ٨٠
لماذا اختيار عائشة دون سودة؟ ٨١
ظلموا هذه! وظلموا تلك! ٨٢
سنّ السيدة سودة ٨٣
حكايات لا أصل لها! ٨٤
قصة خديجة شبيه بقصة سودة! ٨٤
إسلام السيدتين: عائشة وأسماء ٨٦
رواية أولى ٨٧
رواية أخرى ٨٨
رواية ثالثة ٨٩
الخاتمة ٩٢
ثبت المراجع ٩٦
فهرس المحتويات ١٠٠



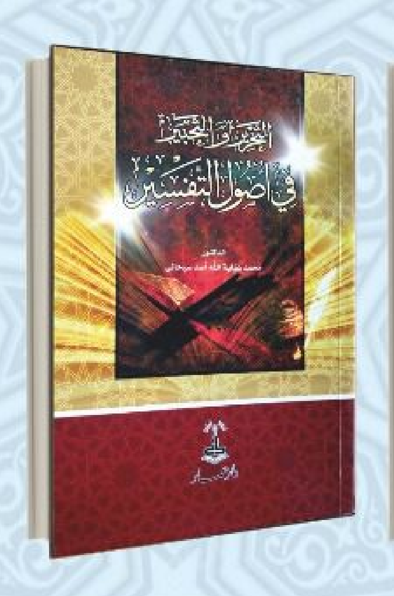
الكتب المطبوعة للمؤلف

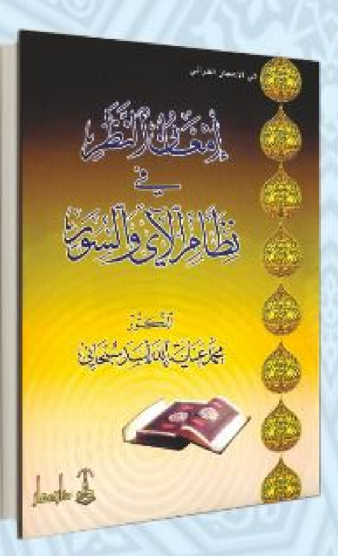


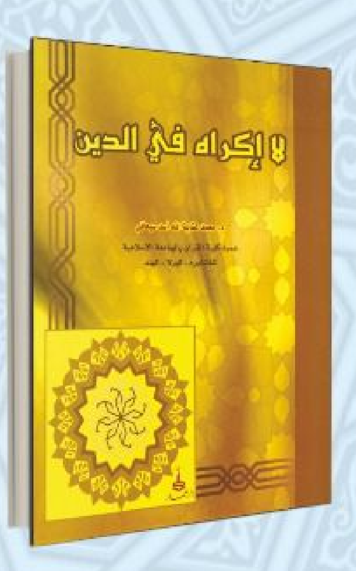
- البرهان في نظام القرآن
- إمعان النظر في نظام الآي والسور
- التحرير والتحبير في أصول التفسير
- عقد الجمان في تقويم تدبر القرآن
- بهجة الجنان في تاريخ تدوين القرآن
- لا إكراه في الدين
- سن السيدة عائشة رضي الله عنها يوم نكاحها

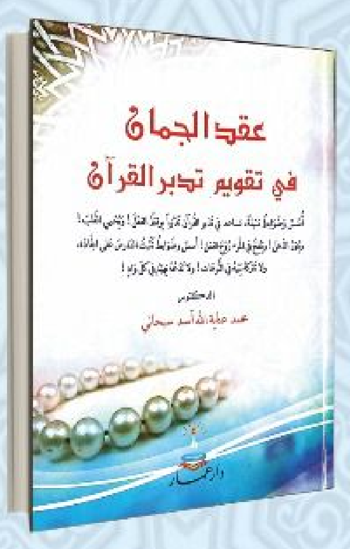
كتب جاهزة للطبع

- ثورةٌ على الطغيان
- إمعان في مشكل القرآن
- هُوَ الجَلدُ لا النفي ولا الرجم!











HIDAYAT
Publishers & Distributors
F-155, Flat No. 204, Hidayat Apartment,
Shaheen Bagh, Jamia Nagar,
Okhla, New Delhi - 110025

ISBN 386460271-8
9789386460271